

المسائل العقديّة المتعلّقة بالنبوّه في حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه: ١ من
شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن
عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق،
والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل جمعاً ودراسة
أ. سميره بنت جارالله الغامدي*، د. ليلى بنت كويران السلمي**

سلم البحث في ١٠/٢/١٤٤٧هـ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ اعتمد للنشر في ١١/٢/١٤٤٧هـ

ملخص البحث:

يتناول هذا البحث جملةً من المسائل العقديّة المتعلّقة بشهادة النبي صلى الله عليه وآله وبيان حقيقة نبوته، مع إبراز الدلائل الدالة على صدق رسالته، وقد بدأ البحث ببيان المراد بشهادته صلى الله عليه وآله، وبيان ما تتضمنه، وارتباط ذلك بتحقيق أصل التوحيد، كما عُني ببيان حقيقة النبوة، ثم تناول البحث دراسة دلائل النبوة، والمراد بها، كما استعرض جملةً من الدلائل الدالة على صدق نبوة النبي صلى الله عليه وآله، والتي من أعظمها القرآن الكريم، إضافةً إلى المعجزات الحسية، والإخبار بالغيب، وما ظهر على يديه صلى الله عليه وآله من الآيات الباهرات. ويهدف هذا البحث إلى تأصيل المسائل العقديّة وفق منهج أهل السنة والجماعة بتكامل الأدلة النقلية والعقلية في تقرير صدق النبوة. الكلمات المفتاحية: شهادة أن محمداً رسول الله، النبوة، دلائل النبوة، المعجزات، العقيدة الإسلامية.

Abstract:

This study examines a range of creedal issues pertaining to the testimony of the Prophet Muhammad -peace and blessing upon him- and the elucidation of the true nature of his prophethood, while highlighting the evidences that demonstrate the veracity of his mission. The research begins by clarifying the intended meaning of his testimony -peace and blessing upon him-, what it encompasses, and its intrinsic connection to the establishment of the foundational principle of Tawhīd (monotheism). It likewise devotes attention to explaining the reality of prophethood. The study then proceeds to investigate the proofs of prophethood and the precise signification of the term, followed by a review of several key evidences attesting to the truthfulness of the Prophet's prophethood. Foremost among these is the Noble Qur'an, supplemented by tangible miracles, reports concerning the unseen (ghayb), and the manifest, brilliant signs that appeared through his hands - peace and blessing upon him-.

* باحثة ماجستير بتخصص العقيدة - قسم الشريعة والدراسات الإسلامية - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة الملك عبد العزيز - المملكة العربية السعودية.

** أستاذة العقيدة المساعد بقسم الشريعة والدراسات الإسلامية - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة الملك عبد العزيز - المملكة العربية السعودية.

المسائل العقيدية المتعلقة بالنبوة في حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه: (من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أسمى جارا لله القامدي، دليلي كويران السلمي

The aim of this research is to firmly root these creedal matters in accordance with the methodology of Ahl al-Sunnah wa al-Jamā'ah, integrating both transmitted (naqlī) and rational ('aqlī) evidences to affirm the truth of prophethood.

Keywords: The testimony that Muḥammad is the Messenger of Allah, prophethood, proofs of prophethood, miracles, Islamic creed.

المقدمة:

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده رضي الله عنه، وبعد: اقتضت حكمة الله تعالى أن يرسل رسوله إلى العباد بالهدى ودين الحق؛ ليخرجوا من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد، وتعد النبوة أصلاً عظيماً من أصول العقيدة الإسلامية، فيها يُعرف مراد الله تعالى من عباده، وتتحقق الهداية، ولا يصح إيمان العبد إلا بالإقرار بها، وقد دلّ على عظم شأنها ومكانتها حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه، حيث قال النبي صلى الله عليه وسلم: (مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ)^(١). وفي رواية: (أَدْخَلَهُ اللَّهُ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ)^(٢) فالشهادة له صلى الله عليه وسلم بالرسالة مقرونة بأصل التوحيد، مما يدل على أن الإيمان بالنبوة أصلٌ من أصول الإيمان، وأنه أساس الفوز والنجاة.

ومن ذلك تتأكد الحاجة إلى بيان حقيقة النبوة وما تختص به من خصائص تميّزها عن غيرها من خوارق العادات، مع ضبط دلائلها التي يعرف بها صدق مدّعيها، وإبراز وجوه الاستدلال على صدق نبوة النبي صلى الله عليه وسلم، وفق منهج أهل السنة والجماعة، وعليه يهدف هذا البحث إلى المراد بشهادة الرسول صلى الله عليه وسلم وما يتضمنها من أمور، ودراسة مفهوم النبوة وحقيقتها وبيان دلائلها، وإيضاح الأدلة على صدق نبوته صلى الله عليه وسلم، انطلاقاً من دلالات هذا الحديث العظيم وما اشتمل عليه من أصول عقديّة جامعة.

مشكلة البحث

يتناول هذا البحث المسائل العقديّة في حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه من حيث دلالة الحديث على تلك المسائل، كما يجيب على هذه الأسئلة:

١- ما الأمور التي تتضمنها معرفة النبي صلى الله عليه وسلم؟

٢- ما هي مقتضيات شهادة أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

(١) رواه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب: قوله (أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم)، ٤١ / ١٦٥، ح: ٢٤٣٥.

(٢) رواه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً، ٤٢/١، ح: ٢٨١.

٣- ما هي حقيقة النبوة في ضوء هذا الحديث؟

٤- ما هي دلائل النبوة؟

٥- ما هو منهج أهل السنة والجماعة والمخالفين في تقرير النبوة؟

أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى ما يلي

- ١- الإشارة إلى عظم مكانة السنة النبوية وأهميتها في تأسيس المسائل العقدية التي لا يصح إيمان العبد وعمله إن أخلّ بشيء منها.
- ٢- التوضيح بأن الشهادتين هما أصل الدين ولا تصحُّ إلا ممن عرف معناهما وعمل بمقتضاهما.
- ٣- التأكيد على صدق نبوة محمد ﷺ، والجمع له بين العبودية والرسالة.

أهمية البحث

- ١- تعلق البحث بأشرف العلوم وهو علم العقيدة، والمقصود بها عقيدة أهل السنة والجماعة التي تقوم على الكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة رضي الله عنهم.
- ٢- أهمية ربط المسائل العقدية بالكتاب والسنة مباشرة بعيداً عن المقدمات المنطقية والتعقيدات الكلامية والفلسفية .
- ٣- حاجة البشرية للإيمان بالرسول.
- ٤- أن الأمة - ولا سيّما في هذا العصر - بحاجة ماسة لاستخراج واستنباط ما اشتملت عليه أحاديث الرسول ﷺ من الفوائد؛ لتكون نبراساً لهم في حياتهم سواء كان ذلك في حياتهم أم في جوانب الدين الأخرى.

الدراسات السابقة

- ١- دلائل النبوة: مسالكها وأنواعها وحكمة تنوعها: دراسة تحليلية: بحث علمي محكم ومنشور في مجلة الجامعة العراقية- الجامعة العراقية - مركز البحوث والدراسات الإسلامية، المجلد: ١ العدد: ٦٧، من إعداد الباحثة: أحلام محمد الوادي، قسم العقيدة، كلية الدعوة، جامعة أم القرى-٢٠٢٤م، وهدفت هذه الدراسة إلى: دراسة دلائل النبوة من حيث مسالكها عامة، وأنواعها، والحكمة من تنوعها، كما بينت أهمية دلائل النبوة في إثبات صدق الخبر عن الله تعالى الذي جاء به الأنبياء، وذكر تنوع دلائل النبوة، بينما عني هذا البحث بالمراد من شهادة الرسول ﷺ والأمر التي تتضمنها وبيان حقيقة النبوة، وتفاضل الأنبياء، مع ذكر طرق إثبات النبوة وهل تقتصر على المعجزات، وإيراد الأدلة على صدق نبوته ﷺ .

٢- **دلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم:** بحث علمي محكم ومنشور في مجلة تبيان للدراسات القرآنية- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- الجمعية العمومية السعودية للقرآن وعلومه، العدد: ٧، إعداد الباحث: محمد بن سريع السريع، قسم القرآن وعلومه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- ٢٠١٠م، وقد هدفت هذه الدراسة إلى: بيان الدلائل التي ساقها القرآن الكريم لتقرير نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وإظهار تنوع الدلائل التي تدل على صدقه صلى الله عليه وسلم وإبراز منهج القرآن الكريم في الاستدلال على القضايا الكبرى، واقتصر الباحث على التركيز في الدلائل التي ساقها القرآن الكريم لتقرير نبوة محمد في حين توسعت هذه الدراسة بالمراد من شهادة الرسول صلى الله عليه وسلم والأمور التي تتضمنها وبيان حقيقة النبوة، وتفاضل الأنبياء، مع ذكر طرق إثبات النبوة وهل تقتصر على المعجزات، وإيراد الأدلة على صدق نبوته صلى الله عليه وسلم.

٣- **الإرهاصات النبوية ودورها في تأكيد النبوة: جمعا ودراسة:** رسالة ماجستير مقدمة من الباحثين: منذر موسى نور الجليل، وحسن علي الشايقي، كلية الدراسات الإسلامية، جامعة افريقيا العالمية- ٢٠١٩م وقد هدفت هذه الدراسة إلى: توضيح مفهوم الإرهاصات والبشائر وبيان أنواع الإرهاصات من خلال ما ورد في الكتب السماوية السابقة من بشائر وما ورد من إرهاصات قبل المولد وقبل البعثة له صلى الله عليه وسلم، واقتصر الباحثان على الإرهاصات وأنواعها، وماورد من البشائر في الكتب السماوية، في حين توسعت هذه الدراسة بالمراد من شهادة الرسول صلى الله عليه وسلم والأمور التي تتضمنها وبيان حقيقة النبوة، وتفاضل الأنبياء، مع ذكر طرق إثبات النبوة وهل تقتصر على المعجزات، وإيراد الأدلة على صدق نبوته صلى الله عليه وسلم.

منهج البحث

سأنتهج -بحول الله- في هذا البحث

١- المنهج الاستقرائي والتحليلي: من حيث تتبع المعلومات، وجمعها، وتحليلها، وعرضها.

هيكل البحث

اشتملت خطة البحث على:

المقدمة، وتشمل: مشكلة البحث، أهداف البحث، أهمية البحث، الدراسات السابقة، منهج البحث.

المبحث الأول: المراد بشهادة الرسول صلى الله عليه وسلم

المطلب الأول: المراد بشهادته صلى الله عليه وسلم والأمور التي تتضمنها معرفته

المطلب الثاني: بيان حقيقة النبوة

المبحث الثاني: الدلائل على صدق نبوته ﷺ
 المطلب الأول: المراد بدلائل النبوة
 المطلب الثاني: الدلائل على صدق نبوته ﷺ
 الخاتمة، وتشمل: أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: المراد بشهادة الرسول ﷺ

يأتي هذا المبحث لبيان الأمور المتعلقة بالنبوة والتي تضمنها الحديث في قوله ﷺ: (مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْفَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ)^(١).

المطلب الأول: المراد بشهادته ﷺ والأمر التي تتضمنها معرفته

أولاً: المراد بشهادة الرسول ﷺ

يرتكز التوحيد على الشهادتين: شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمد رسول الله، كما أن الإسلام مبني على خمسة أركان: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، والحج لمن يستطيع إليه. فالشهادتان هما أصل الإسلام، وهي الركن الثاني من أركان الإسلام. والمراد بشهادة أن محمدًا رسول الله: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وألا يُعبد الله إلا بما شرع^(٢). حيث إن الإيمان بالرسول يقتضي تصديقه ظاهرًا وباطنًا وطاعته واتباع شريعته ﷺ^(٣).

ولا يتم الإيمان بالله بدون الإيمان بالرسول ﷺ ولا تحصل النجاة والسعادة بدونه إذ هو الطريق إلى الله سبحانه؛ ولهذا كانت الشهادتان هما ركني الإسلام، ومعلوم أن الإيمان هو الإقرار، لا مجرد التصديق، والإقرار ضمن قول القلب الذي هو التصديق وعمل القلب الذي هو الانقياد لتصديق الرسول ﷺ فيما أخبر والانقياد له فيما أمر^(٤). والذي يجب على المكلف اعتقاده أن يؤمن بالله ورسوله، ويقر بجميع ما جاء به الرسول من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وما أمر به الرسول ﷺ ونهى، بحيث يقر بجميع ما أخبر به وما أمر به، فلا بد من تصديقه فيما أخبر،

(١) رواه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب: قوله (أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم)، ٤١ / ١٦٥، ح (٢٤٢٥).

(٢) ثلاثة الأصول، محمد بن عبد الوهاب، ص ١٥.

(٣) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيمية (١/٢٩٥).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٧/٦٢٨-٦٢٩).

المسائل العقيدية المتعلقة بالنبوة في حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه: (من شهد أن لا إله إلا الله وخذ لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله...)، أسمره جاره الله الغامدي، د. ليلى كويران السلمي

والانقياد له فيما أمر، وعلى كل مكلف أن يقر بما ثبت عنده؛ من أن الرسول أخبر به وأمر به ^(١).

ولأهمية هذه الشهادة فقد جعلها علماء المسلمين أحد الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها والتي هي: معرفة العبد ربه، ودينه، ونبيه رضي الله عنه ^(٢).

ثانياً: الأمور التي تتضمنها معرفة النبي رضي الله عنه

أولاً: معرفة نسبه رضي الله عنه: فهو أشرف الناس نسباً هاشمي قرشي عربي.

وقد ذكر البخاري نسب رسول الله رضي الله عنه فقال: (هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان) ^(٣).

ويكنى بأبي القاسم: حيث قال رضي الله عنه: (تسموا باسمي ولا تكتنوا بكنتي) ^(٤)، كما قال رضي الله عنه: (إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم) ^(٥)، وأمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، فهي أقرب نسباً إلى كلاب من زوجها عبد الله ^(٦) برجل.

والمراد بالاصطفاء: تخير الفروع الزكية من الأصول الكريمة تخيراً مبناه الأخلاق الكريمة، والفضائل الإنسانية السامية، والطباع الفطرية السليمة، وينضم إلى ذلك بالنسبة إلى إسماعيل والنبي رضي الله عنه اصطفاء النبوة والرسالة ^(٧).

ثانياً: معرفة مولده رضي الله عنه ومكان ولادته: ولد بمكة وبقي فيها ثلاثاً وخمسين سنة، ثم هاجر إلى المدينة فبقي فيها عشر سنين، ثم توفي فيها في ربيع الأول سنة إحدى عشرة بعد الهجرة وذكرت عائشة رضي الله عنها أن النبي توفي رضي الله عنه: (وهو ابن ثلاث وستين) ^(٨).

(١) انظر: المصدر السابق (٢/٢٢٧).

(٢) انظر: ثلاثة الأصول، محمد بن عبد الوهاب، ص ٦.

(٣) رواه البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب: مبعث النبي رضي الله عنه (٢/١٢٨٩)، ح (٣٦٣٧).

(٤) رواه البخاري: كتاب المناقب، باب: كنية النبي رضي الله عنه (٢/١٣٠١)، ح (٣٢٤٥).

(٥) رواه مسلم: كتاب الفضائل، باب: فضل نسب النبي رضي الله عنه وتسليم الحجر عليه قبل النبوة (٤/١٧٨٢)، ح (٢٢٧٦).

(٦) تاريخ الإسلام، الذهبي (١/٢٢٧).

(٧) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، محمد أبو شهبه، (١/١٨٤).

(٨) رواه البخاري: كتاب المناقب، باب: وفاة النبي رضي الله عنه (٢/١٣٠٠)، ح (٣٢٤٢).

ثالثاً: معرفة حياته النبوية: وهي ثلاث وعشرون سنة فقد أوحى إليه وله أربعون سنة، وقد مرت دعوته ﷺ بالمرحلة السرية والجهرية بمكة والمدينة، ويمكن تقسيم الدور المكي إلى ثلاث مراحل:

فقد استمرت مرحلة الدعوة السرية ثلاث سنين، ثم مرحلة إعلان الدعوة في أهل مكة من بداية السنة الرابعة من النبوة إلى أواخر السنة العاشرة، ثم مرحلة الدعوة خارج مكة من أواخر السنة العاشرة من النبوة إلى هجرته ﷺ إلى المدينة (١).

ولدعوته ﷺ مراتب: فالمرتبة الأولى: النبوة، والثانية: إنذار عشيرته الأقربين والثالثة: إنذار قومه والرابعة: إنذار قوم ما أتاهم من نذير من قبله وهم العرب قاطبة. أقام ﷺ بعد ذلك ثلاث سنين يدعو إلى الله سرّاً، ثم نزل عليه: ﴿فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤] فأعلن ﷺ بالدعوة وجاهر قومه بالعداوة، واشتد الأذى عليه وعلى المسلمين حتى أذن الله لهم بالهجرتين (٢).

عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: لما نزلت آية: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (صعد النبي ﷺ على الصفا، فجعل ينادي: يا بني فهر، يا بني عدي، لبطن قريش، حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال: أرايتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي، قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقا، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب: تبّاً لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا، فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ٢﴾ [المسد: ١-٢] (٣) يقول ابن إسحاق (٤): ثم دخل الناس في الإسلام أرسالاً من الرجال والنساء، حتى فشا ذكر الإسلام بمكة، وتحدث به، ثم إن الله عز وجل أمر رسوله ﷺ أن يصدع بما جاءه منه، وأن يبادي الناس بأمره، وأن يدعو إليه، وكان بين ما أخفى رسول الله ﷺ أمره واستتر به إلى أن أمره الله تعالى بإظهار دينه ثلاث سنين - فيما بلغني - من مبعثه، ثم قال الله تعالى له (٥): ﴿فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر:

(١) انظر: الرحيق المختوم، المباركفوري، ص ٦٤.

(٢) انظر: زاد المعاد، ابن القيم (١/٨٤).

(٣) رواه البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب: وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك لمن جانبك (١٢٢/٦) ح ٤٨٠١.

(٤) ابن إسحاق: (١٥١٠٠٠٠هـ) محمد بن إسحاق بن يسار المصلي بالولاء المدني. من أقدم مؤرخي العرب. من أهل المدينة. من مؤلفاته: السيرة النبوية، والخلفاء، وكتاب المبدأ، وغيرها. انظر: الأعلام، الزركلي (٦/٢٨٧).

(٥) سيرة ابن هشام (١/٢٦٢).

[٩٤].

رابعاً: بماذا كان نبياً ورسولاً؟ فقد كان نبياً حين نزل عليه قول الله تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ٣﴾ [العلق: ١-٣] نبياً باقراً وأرسل بالمدثر ^(١).

خامساً: بماذا أرسل ولماذا؟ أرسل بتوحيد الله تعالى وشريعته؛ ليفعلوا ما يحبه الله ويرضاه، ويحذروهم من الشرك؛ ليجتنبوا جميع ما يكرهه الله ويأباه ^(٢).

ثالثاً: مقتضيات شهادته ﷺ

الشهادة بأن محمداً رسول الله تتضمن أمرين:

الأمر الأول: إثبات نبوته بتصديقه في كل ما أخبر به، وهذا مختص به ^(٣): يجب الإيمان بالنبوي ﷺ وتصديقه، وورد ذكر ذلك في مواضع كثيرة من القرآن الكريم منها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥]، فالإيمان به ﷺ اقترن مع حق الله تعالى في القرآن الكريم، كما أن الإيمان به واجب متعين فلا يتم إيمان إلا به ولا يصح إسلام إلا معه ^(٤).

كما ورد في سنته ﷺ أنه قال: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين) ^(٥)، وروى أنس رضي الله عنه أنه ﷺ قال: (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار) ^(٦). والإيمان به ﷺ هو تصديق نبوته ورسالة الله له وتصديقه في جميع ما جاء به وما قاله، ومطابقة تصديق القلب بذلك شهادة اللسان بأنه رسول الله ﷺ، فإذا اجتمع التصديق به بالقلب والنطق بالشهادة بذلك باللسان تمّ الإيمان به والتصديق له ^(٧) كما ورد في الحديث عن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا

(١) ثلاثة الأصول، محمد بن عبد الوهاب، ص ٢٠.

(٢) انظر: المصدر السابق، ص ٢٢.

(٣) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٩١/١٥).

(٤) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض (١٩/٢)، بتصرف.

(٥) رواه مسلم: كتاب الإيمان، باب: وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين (٦٧/١)، ح ٤٤٤.

(٦) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب: بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان (٦٦/١)، ح ٤٢.

(٧) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض (٣/٢).

أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله^(١).

ويندرج تحت هذا الإثبات والتصديق عدة أمور منها:

• الإيمان بعموم رسالته^(٢): رسالة النبي ﷺ عامة للثقلين بجميع أجناسهم وأشكالهم، ولوانهم ومللهم ولغاتهم؛ لذا يجب الإيمان بذلك ولا يسع أحدًا من هؤلاء الخروج عن شريعته، ولا أن يدين الله بغير ما جاء به، "ومن اعتقد أنه يسوغ لأحد الخروج عن شريعته وطاعته فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ"^(٣) قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥] وقد انفرد النبي ﷺ بعموم رسالته وعالميتها فقد بعثه الله للناس كافة بشيرًا ونذيرًا قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ - وَسِرَاجًا مُنِيرًا ٤٦﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦] فعمت رسالته جميع المكلفين، فهذه الأمور التي وصف الله بها رسوله ﷺ هي المقصود من رسالته التي اختص بها فهو شاهدًا على أمته بما عملوه من خيرٍ وشر، أرسله الله يدعو الخلق إلى ربه، ويسوقهم لكرامته، ويأمرهم بعبادته التي خلقوا لها، وذلك يستلزم استقامته على ما يدعو إليه، وذكر تفاصيل ما يدعو إليه، بتعريفهم لربهم بصفاته المقدسة، وتنزيهه عما لا يليق بجلاله، وذكر أنواع العبودية، والدعوة إلى الله بأقرب طريق موصل إليه، وإعطاء كل ذي حق حقه، وكونه ﷺ سراجًا منيرًا، يقتضي أن الخلق في ظلمة عظيمة لا نور يهتدى به في ظلماتها، ولا علم يستدل به في جهالاتها حتى جاء الله بهذا النبي الكريم، فأضاء الله به تلك الظلمات، وعلم به من الجهالات، وهدى به ضللاً إلى الصراط المستقيم^(٤).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة)^(٥) وقد قال الله تعالى أمرًا رسوله أن يقول للناس: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨] حيث اختص الله نبيه ﷺ بهذا على الأنبياء والمرسلين، وفي قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧] يعني وإن لم تؤد إلى الناس ما أرسلتك به فما بلغت رسالته، أي: إن كتمت آية

١) رواه البخاري: كتاب الإيمان، باب: (فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ) (١ / ١٤) ح ٢٥١.

٢) بدائع الصوائد، ابن القيم: ١٥٥/٢.

٣) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية: ٤٢٢/٣.

٤) انظر: تيسير الكريم المنان، السعدي، ص ٦٦٧.

٥) رواه البخاري: كتاب التيمم، باب التيمم وقول الله تعالى (فَلَمْ تَجِدُوا مَا عَرَفْتُمْ فَمِمَّا صَعِدُوا طَيْبًا) (١ / ٧٤).

مما أنزل إليك من ربك لم تبلغ رسالته **﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾** أي: بلغ أنت رسالتي وأنا حافظك وناصرك ومؤيدك على أعدائك ومظفرك بهم، فلا تخف ولا تحزن فلن يصل أحدٌ منهم إليك بسوءٍ يؤذيك^(١).

والأنبياء المتقدمين بشروا بنبوته ﷺ، وأمروا أممهم بالإيمان به، ومن جحد نبوته فقد كذب الأنبياء قبله فيما أخبروا به، وخالفهم فيما أوصوا به من الإيمان به، فالتصديق به لازم من لوازم التصديق بهم، ودعوة النبي ﷺ هي دعوة جميع المرسلين قبله من أولهم إلى آخرهم، فالمكذب بدعوته مكذب بدعوة الرسل كلهم، فإن جميع الرسل جاءوا بما جاء به، فإذا كذبه المكذب فقد زعم أن ما جاء به باطلاً، وفي ذلك تكذيب كل رسول أرسله الله، وكل كتاب أنزله، ولا يمكن أن يعتقد أن ما جاء به صادق، وأنه كاذب مفتر على الله، وهذا في غاية الوضوح^(٢).

• الإيمان بكونه خاتم النبيين، ورسالته خاتمة الرسالات، قال تعالى: **﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾** [الأحزاب: ٤٠] فلا بد بالإيمان بأن محمداً ﷺ خاتم النبيين لا نبي بعده، وأن الله أرسله إلى جميع الثقليين: الجن والانس^(٣).

• الإيمان بكون رسالته ناسخة لما قبلها من الشرائع: سُخِطَ جميع الشرائع السابقة بشرية نبينا محمد ﷺ قال تعالى: **﴿وَمَن يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخُسْرَيْنِ﴾** [آل عمران: ٨٥]، فنسخ عز وجل بملته كل ملة وألزم أهل الأرض جنتهم وإنسهم اتباع شريعته التي بعث بها ولا يقبل من أحد سواها^(٤).

فمن تولى عن اتباع محمد ﷺ، ممن يزعم أنه من أتباعهم، فإنه خارج عن طاعة الله، مكذب للرسول الذي يزعم أنه من أتباعه، مخالف لطريقه، وفي هذا إقامة الحجة والبرهان، على كل من لم يؤمن بمحمد ﷺ من أهل الكتب والأديان، وأنه لا يمكنهم الإيمان برسولهم، الذين يزعمون أنهم أتباعهم، حتى يؤمنوا بإمامهم وخاتمهم ﷺ^(٥).

• الإيمان بأنه ﷺ قد بلغ الرسالة وأكملها: قال تعالى: **﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾** [المائدة: ٣] حيث أكمل أداء الرسالة

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ١٣٧/٤.

(٢) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ابن القيم ٥٧٧/٢.

(٣) انظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ابن تيمية، ص ٢١.

(٤) المحلى، ابن حزم ٢٧/١.

(٥) تفسير الكريم الرحمن، السعدي، ص ٩٧٠.

التي أمره الله تعالى بإبلاغها، وأدى الأمانة، ونصح لأمته حتى تركهم على البيضاء ليلها كنهارها، ودلهم على خير ما يعلمه لهم، وحذرهم ونهاهم عما فيه مضرة عليهم في دنياهم وأخراهم^(١).

• **الإيمان بعصمته** ﷺ: فالكمال في عدم الهوى وفي العلم هو لخاتم الرسل محمد ﷺ الذي قال تعالى فيه: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۙ ١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۙ ٢ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۙ ٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۙ ٤﴾ [النجم: ١-٤] فنفى عنه الضلال والغَيِّ ووصفه بأنه ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى فنفى الهوى وأثبت العلم الكامل وهو الوحي فهذا كمال العلم وذلك كمال القصد ﷺ^(٢). قال القاضي عياض^(٣): واعلم أن الأمة مجمعة على عصمة النبي ﷺ من الشيطان وكفايته منه لا في جسمه بأنواع الأذى ولا على خاطره بالوساوس^(٤).

وقوله ﷺ: (ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئاً فخذوا به فإنني لن أكذب على الله عز وجل)^(٥) مما يدل على عصمة النبي ﷺ.

• **الإيمان بحقوقه كحبه ونصرته وتعظيمه وطاعته** ﷺ^(٦) قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٢] وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تُرَضُّونَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤]. ويقتضي ذلك محبته ونصرته وتعظيمه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- " فمحمد ﷺ أرسل إلى كل أحد من الإنس والجن، كتابيهم وغير كتابيهم، في كل ما يتعلق بدينه من الأمور الباطنة والظاهرة، في عقائده وحقائقه، وطرائقه وشرائعه، فلا عقيدة إلا عقيدته، ولا حقيقة إلا حقيقته، ولا طريقة إلا طريقته، ولا شريعة إلا شريعته، ولا يصل أحد من الخلق إلى الله

(١) البداية والنهاية، ابن كثير (٥/٨).

(٢) جامع الرسائل، ابن تيمية (١/١٨١).

(٣) القاضي عياض: (٤٧٦ - ٥٤٤ هـ) عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن اليحصبي السبتي، أبو الفضل، عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته. كان من أعلم الناس بكلام العرب وأنسابهم وأيامهم. من تصانيفه: الشفا بتعريف حقوق المصطفى. وترتيب المدارك وتقريب المسالك في معرفة أصنام مذهب الإمام مالك.

والإعلام بحدود قواعد الإسلام. انظر: الأعلام، الزركلي (٩٩/٥).

(٤) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض (٢/٢٧٥).

(٥) رواه مسلم: كتاب الفضائل، باب: وجوب امتثال ما قاله شرعاً دون ما ذكره من معاش الدنيا (٧/ ٩٥) ح (٢٣٦١).

(٦) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٢٧/٤٢٧).

وإلى رضوانه وجنته وكرامته وولايته إلا بما تبعته باطنًا وظاهرًا في الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة في أقوال القلب وعقائده، وأحوال القلب وحقائقه، وأقوال اللسان وأعمال الجوارح" (١)، وقال تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦]، فيلزم من هذه الأولوية والمحبة كمال الانقياد والطاعة والرضا والتسليم وسائر لوازم المحبة من الرضا بحكمه والتسليم لأمره وإيثاره على ما سواه (٢).

• الأمر الثاني: تصديقه فيما جاء به وأن ما جاء به من عند الله حق يجب اتباعه وهذا يجب عليه وعلى كل أحد (٣).

فيجب على كل أحد أن يؤمن بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا ريب أن معرفة ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم على التفصيل فرض على الكفاية إن ذلك داخل في تبليغ ما بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم (٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: "يجب على الخلق الإقرار بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم فما جاء به القرآن العزيز أو السنة المعلومة وجب على الخلق الإقرار به جملةً وتفصيلاً عند العلم بالتفصيل، فلا يكون الرجل مؤمناً حتى يقر بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وهو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فمن شهد أنه رسول الله شهد أنه صادق فيما يخبر به عن الله تعالى فإن هذا حقيقة الشهادة بالرسالة" (٥).

كما قال ابن القيم (٦): "وبالجملة: فتجعل الرسول شيخك وأستاذك، ومعلمك ومربيك ومؤدبك، وتسقط الوسائط بينك وبينه إلا في التبليغ، كما تسقط الوسائط بينك وبين المرسل في العبودية، ولا تثبت وساطة إلا في وصول أمره ونهيه ورسالته إليك، وهذان التجريدان حقيقة شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فالله وحده

(١) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١٠١/٤٣٠-٤٣١).

(٢) انظر: الرسالة التبوكية، ابن القيم، ص ٢٩.

(٣) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١٥/٩١).

(٤) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز (١٠٨/٨٧).

(٥) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٥١/١٥٤).

(٦) ابن القيم: ٦٩١ - ٧٥١ هـ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الدمشقي، أبو عبد الله، شمس الدين، من أركان الإصلاح الإسلامي، وأحد كبار العلماء، تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شيء من أقواله، بل ينتصر له في جميع ما يصدر عنه، هذب كتبه ونشر علمه، وسجن معه، وكان حسن الخلق محبوباً عند الناس، أغري يجب الكتب، فجمع منها عدداً عظيماً، وكتب بخطه الحسن شيئاً كثيراً وألف تصنيفات كثيرة منها: إلام الموقعين، والطرق الحكمية في السياسة الشرعية، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، وغيرها، انظر: الأعلام، الزركلي (٦١/٥٦).

المعبود المألوه، الذي لا يستحق العبادة سواه، ورسوله المطاع المتبع المقتدى به، الذي لا يستحق الطاعة سواه. ومن سواه وإنما يطاع إذا أمر بطاعته، فيطاع تبعاً لا أصلاً، فالطريق مسدود إلا على من اقتفى آثار رسول الله ﷺ واقتدى به في ظاهره وباطنه^(١) فطاعته وتصديقه معلوم بالاضطرار من دين الإسلام، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: " ونحن نعلم يقيناً بالاضطرار أن من دين الإسلام: أن محمداً رسول الله ﷺ أوجب الله تعالى علينا طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر^(٢) .

ثالثاً: حاجة البشرية إلى الرسالة

الإيمان بأنبياء الله ورسله ركنٌ من أركان الإيمان، فلا يتحقق إيمان العبد حتى يؤمن بجميع الأنبياء، ويصدق بأن الله تعالى أرسلهم؛ لهداية البشر وإرشاد الخلق، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وأنهم بلغوا ما أنزل إليهم من ربهم البلاغ المبين، فبلغوا الرسالة، وأدوا الأمانة، ونصحوا الأمة، وجاهدوا في الله حق جهاده^(٣). قال الله تعالى: ﴿ءَأَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأَمَّنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا تَفَرُّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]. وقد اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى افتقار جميع الكائنات إليه، والله عز وجل لا يترك عباده سدى، فقد أرسل الله جميع الرسل مبشرين ومنذرين يبشرون من أطاعهم بالجنة وينذرون من خالفهم بالنار، وإرسال الرسل له حكم عظيمة من أهمها

- إقامة الحجة على الناس: حجة الله قامت على العبد بإرسال الرسول، وانزال الكتاب، وبلوغ ذلك إليه، وتمكنه من العلم به، سواء علم أم جهل، فكل من تمكن من معرفة ما أمر الله به ونهى عنه، فقصر عنه ولم يعرفه، فقد قامت عليه الحجة، والله سبحانه لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه، فإذا عاقبه على ذنبه عاقبه بحجته على ظلمه^(٤) قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥] وقال تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]. وهي من تمام نعمة الله على بأن أرسل الله الرسل مبشرين ومنذرين، فقطع حجة كل مبطل ألد في توحيده وخالف أمره، بجميع معاني الحجج القاطعة عذره،

(١) مدارج السالكين، ابن القيم، ٥٢٩/٣.

(٢) الصغدية، ابن تيمية، ٢٥٨/١.

(٣) النبوات، ابن تيمية، ٢٧/١.

(٤) مدارج السالكين، ابن القيم، ٢٢٢/١.

إعذاراً منه بذلك إليهم؛ لتكون لله الحجة البالغة عليهم وعلى جميع خلقه ^(١).

- تهذيب العباد: اقتضت حكمته تعالى أن يرسل لعباده الرسل، فالأنبياء والرسل هم صفوة الخلق وحاجة الخلق إليهم ماسة فبعثوا للدعوة لعبادة الله، وتحريرهم من عبودية المخلوق، فلو ترك الناس دون إنذار وتخويف؛ لعاشوا عيشة ضنكا، قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦]، ومن رحمة الله أن من عليهم إذ بعث فيهم الرسل يتلون عليهم آيات ربهم، ويعلمونهم ما يصلحهم، ويرشدونهم إلى سعادتي الدنيا والآخرة، فالغاية العظمى التي أوجد الله الخلق لأجلها هي عبادته، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] ولا يستطيع الإنسان أن يعرف حقيقة العبادة من فعل ما يحبه الله ويرضاه، وترك ما يكرهه الله إلا عن طريق الرسل الذين اصطفاهم الله من خلقه وفضلهم على العالمين، وجعلهم مبرزين من كل عيب، وأيدهم بالمعجزات والحجج والبراهين، وأنزل عليهم البينات والهدى وعرفهم به، وأمرهم أن يدعوا الناس إلى عبادته وحده حق العبادة؛ فتقام الحجة على البشر بإرسال الرسل ^(٢)، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾ [طه: ١٣٤].

- حاجة الخلق إلى القدوة الحسنة: الأنبياء هم نبراس الهدى، يقتدي بهم الخلق، كملهم الله بالأخلاق الفاضلة، وعصمهم من الشبهات والشهوات، فهم قدوة الأتباع، والأسوة الحسنة لمن أطاع في العبادات والأخلاق والمعاملات والاستقامة على دين الله ^(٣).

وقد أوضح شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - حاجة العباد إلى المرسلين فقال: "والرسالة ضرورة للعباد، لا بد لهم منها، وحاجتهم إليها فوق حاجتهم إلى كل شيء، والرسالة روح العالم ونوره وحياته، فأبي صلاح للعالم إذا عدم الروح والحيوة والنور، قال تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢]، فهذا وصف المؤمن، كان ميتا في ظلمة الجهل، فأحياه الله بروح الرسالة ونور الإيمان، وجعل له نوراً يمشي به في الناس، وأما الكافر فميت القلب في الظلمات وسمى الله تعالى رسالته روحاً والروح إذا عدم فقد فقدت الحياة ^(٤). فلا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا

١١) جامع البيان في تأويل أي القرآن، الطبري ٦٩٢/٧.

١٢) انظر: النبوات، ابن تيمية، ٢٣-٢٢/١.

١٣) انظر: المصدر السابق ٢٤/١.

١٤) مجموع الفتاوى، ابن تيمية ٩٤-٩٢/١٩.

على أيدي الرسل، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلا من جهتهم، ولا ينال رضي الله البتة إلا على أيديهم. فالطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق ليس إلا هديهم وما جاؤوا به؛ فهم الميزان الراجح الذي على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم توزن الأقوال والأخلاق والأعمال، وبمتابعتهم يتميز أهل الهدى من أهل الضلال، فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه، والعين إلى نورها والروح إلى حياتها. فأى ضرورة وحاجة فرضت ضرورة العبد وحاجته إلى الرسل فوقها بكثير^(١). ولا يليق بعاقلي رشيد عرف كمال حكمة الله وسعة رحمته، وعرف واقع الناس وما هم فيه من هرج ومرج وفساد وضلال؛ أن ينكر حاجة البشر إلى قيادة رشيدة، عمادها وحى الله وشريعته، تعتم به، وتدعو الناس إليه، وتهدبهم إلى سواء السبيل، فإن الإنسان قد يقصر عقله في كثير من أحواله وشؤونه، وقد يعجز عن العلم بما يجب عليه عمله، فكان في ضرورة إلى معين يساعده فيما قصر عنه إدراكه أو عجز عنه فهمه، ويهديه الطريق في أصول دينه؛ ومن أجل ذلك أرسل الله الرسل وأنزل الكتب^(٢). بل البشر يكونون في أشد الضرورة للرسل؛ لأن عقول الناس مختلفة أعظم اختلاف، ولا تستطيع أن تستقل بمعرفة ما يرضي الله سبحانه أو يسخطه من الأقوال والأعمال والعقائد، ومن أجل ذلك أرسل الله رسله من نوح إلى أن ختموا بنبينا محمد ﷺ الذي بعثه الله بدين شامل كامل باق عام للبشرية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين^(٣).

خامساً: التفاضل بين الأنبياء

يُعدُّ الأنبياء أفضل البشر على الإطلاق، وقد دلَّ على ذلك الكتاب والسنة والإجماع والنظر الصحيح. ودلالة الكتاب من ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]. كما اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن الأنبياء أفضل من الأولياء الذين ليسوا بأنبياء وقد رتب الله عباده السعداء المنعم عليهم على أربع مراتب^(٤). وورد أن بعض الصحابة رضي الله عنهم شقَّ عليهم أن النبي ﷺ في الجنة في الدرجات العلا، فتكون منزلتهم دونه، فنزلت هذه الآية. التي

١: زاد المعاد، ابن القيم (١/٦٨).

٢: الحكمة من إرسال الرسل، عبد الرزاق عفيضي، ص ١٤.

٣: انظر: مذكرة التوحيد، عبد الرزاق عفيضي ص ٥٥.

٤: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ابن تيمية، ص ٨٩.

تنص في تفضيل الأنبياء على البشر فهم أفضل أولياء الله وأرفعهم درجة على الإطلاق^(١).

وقال تعالى: ﴿وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٨٦]، أي: وكلاً من هؤلاء الأنبياء والمرسلين فضلنا على العالمين؛ لأن درجات الفضائل أربع وهي التي ذكرها الله بقوله: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]، فهؤلاء من الدرجة العليا، بل هم أفضل الرسل على الإطلاق^(٢) وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٣٣]، ووجه الترابط بين هذه الآية وما قبلها أن محبة الله لا تتم إلا بمتابعة الرسل، فبين سبحانه علو درجاتهم وسمو مكانتهم^(٣). وهذا فيما يتعلق بكون الأنبياء أفضل من سائر البشر.

"ويكفي في فضلهم وشرفهم أن الله سبحانه وتعالى اختصهم بوحيه، وجعلهم أمناء على رسالته، وواسطة بينه وبين عباده، وخصهم بأنواع كراماته فمنهم من اتخذه خليلاً، ومنهم من كلمه تكليماً، ومنهم من رفعه مكاناً علياً على سائرهم درجات، ولم يجعل لعباده وصولاً إليه إلا من طريقهم، ولا دخولاً إلى جنته إلا خلفهم، ولم يكرم أحداً منهم بكرامة إلا على أيديهم، فهم أقرب الخلق إليه وسيلة، وأرفعهم عنده درجة، وأحبهم إليه وأكرمهم عليه، وبالجملة فخير الدنيا والآخرة إنما ناله العباد على أيديهم وبهم عرف الله، وبهم عبد وأطيع، وبهم حصلت محابه تعالى في الأرض"^(٤).

كما أخبرنا تبارك وتعالى أنه فضل بعض النبيين على بعض قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾ [الإسراء: ٥٥] وقد أجمعت الأمة على تفضيل الأنبياء على غيرهم من الصديقين والشهداء والصالحين وأن الرسل أفضل من الأنبياء، والرسل متفاضلون فيما بينهم، كما قال تعالى: ﴿تِلْكَ أَلْسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَنِينَ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٢٥٣]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - "الأنبياء أفضل الخلق باتفاق المسلمين وبعدهم الصديقون، والشهداء، والصالحون"^(٥) ويدل على تفضيلهم قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ

١) انظر: جامع البيان في تفسير أي القرآن، الطبري ٢١٤/٧.

٢) تفسير الكريم الرحمن، السعدي، ص ٢٦٢.

٣) مضاتيح الغيب، الرازي ١٩٨/٨١.

٤) طريق المهجرتين، ابن القيم، ص ٢٥٠.

٥) منهاج السنة النبوية، ابن تيمية ٤١٧/٢١.

دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿[الأنعام: ٨٣] كما قال - رحمه الله - : " فضل صفوته هم الأنبياء، وأفضل الأنبياء الرسل، وأفضل الرسل أولو العزم، وأفضل أولي العزم محمد ﷺ^(١). وأولو العزم خمسة: محمد ﷺ ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، قال

تعالى: ﴿فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥] يقول ابن كثير^(٢): "لا خلاف أن الرسل أفضل من بقية الأنبياء، وأن أولي العزم منهم أفضلهم، وأفضل هؤلاء الخمسة هو محمد ﷺ، فهو خاتم النبيين، وسيد المرسلين، وأفضل خلق الله أجمعين^(٣)، وقد ذكر الرازي^(٤): أن الأمة أجمعت على أن بعض الأنبياء أفضل من بعض، وعلى أن محمداً ﷺ أفضل من الكل، ويدل عليه وجوه أحدها: قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، فلما كان رحمة لكل العالمين؛ لزم أن يكون أفضل من كل العالمين^(٥).

وقد اتفق المسلمون على أنه ﷺ أعظم الخلق جاهاً عند الله لا جاه لمخلوق عند الله أعظم من جاهه ولا شفاعاة أعظم من شفاعته^(٦).

وينبغي ألا يكون التفضيل على سبيل الحمية والعصبية وهوى النفس وإلا كان مذموماً ومخالفاً لمقصود النبي ﷺ^(٧).

ومن خصائص النبي ﷺ التي فضل بها على الأنبياء ما يلي:

(١) المصدر السابق (٢٧٥/٥).

(٢) ابن كثير: ٧٧٤-٧٠١هـ: اسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو بن درع القرشي البصري ثم دمشقي. أبو الفداء، عماد الدين حافظ مؤرخ فقيه صنف في صغره كتاب: الأحكام على أبواب التنبية. والتاريخ المسمى بالبداية والنهاية. والتفسير وكتاباً في جمع المسانيد العشرة. ذكره شيخه في المعجم المختص فقال: فقيه متفنن ومحدث متقن ومفسر نقاد. وقال تلميذه الحافظ شهاب الدين بن حجر: كان أحفظ من أدركتاه لتون الأحاديث. وأعرفهم بتخريجها ورجالها وصحيحها وسقيمها. وكان أقرانه وشيوخه يعترفون له بذلك. وكان يستحضر شيئاً كثيراً من الفقه والتاريخ قليل النسيان وكان فقيهاً جيد الفهم. صحيح الخ. انظر: طبقات المفسرين، الداودي (١١١/١) وانظر أيضاً: الأعلام، الزركلي (٢٢٠/١).

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٨٠/٥).

(٤) الرازي: ٥٤٤ - ٦٠٦ هـ: محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله. فخر الدين الرازي الإمام المفسر. أوجد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل. وهو قرشي النسب. وكان يجسن الفارسية. من تصانيفه: مفاتيح الغيب ثمان مجلدات في تفسير القرآن الكريم. ولوامع البيئات في شرح أسماء الله تعالى والصفات ومعالم أصول الدين ومحصل أفكار المتقدمين وغيرها. انظر: الأعلام، الزركلي (٢١٢/٦).

(٥) مفاتيح الغيب، الرازي (٥٢١/٦).

(٦) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١٤٥/١).

(٧) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز (١٥٩/١).

روى جابر بن عبدالله رضي الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أعطيت خمسا لم يُعطهن أحدٌ من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجُعِلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأُحِلَّت لي الغنائم، وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة، وأُعطيت الشفاعة) ^(١) وفي رواية أخرى لأبي هريرة رضي الله عنه قوله صلى الله عليه وسلم: (فُضِّلْتُ على الأنبياء بست) ^(٢)، وتعددت الروايات في ذلك، قال ابن حجر ^(٣): يُنتظم من الروايات سبع عشرة خصلة فُضِّل بها النبي صلى الله عليه وسلم، ويمكن أن يوجد أكثر من ذلك لمن أمعن التتبع، كما بين طريق الجمع بين هذه الروايات، وأنه لا تعارض فيها، وقد نقل بعض أهل العلم أن خصائصه تزيد على ستين خصلة ^(٤). ومن خصائصه: روى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع) ^(٥)، روى أنس رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال: (أتي باب الجنة يوم القيامة، فأستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت، لا أفتح لأحد قبلك) ^(٦).

قال الحلبي ^(٧): " ولأن شرف الرسول بالرسالة ونبينا صلى الله عليه وسلم خص بأشرف الرسالات، فعلمنا بذلك أنه أشرف الرسل، والدليل على أن رسالته أشرف الرسالات أنها نسخت ما تقدمها من الرسالات ولا تأتي بعدها رسالة تنسخها والى هذا أشار ربنا جل ثناؤه فيما وصف به كتابه أن قال: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ۚ لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ جَل ثناؤه فيما وصف به كتابه أن قال: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ۚ لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ

(١) رواه البخاري، كتاب التيمم، باب: التيمم وقول الله تعالى: ﴿فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ (١ / ٧٤ ح ٣٣٥).

(٢) رواه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة ٢ / ٦٤ ح ٥٢٣.

(٣) ابن حجر: ٧٢٣-٨٥٢هـ أحمد بن علي بن محمد الكناشي العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، من أئمة العلم والتاريخ، وثق بالأدب والشعر ثم أقبل على الحديث، ورحل إلى اليمن والحجاز وغيرهما لسماع الشيوخ، وعلت له شهره فقصده الناس للأخ عنه وأصبح حافظ الإسلام في عصره، قال السخاوي: انتشرت مصنفاًته في حياته وتهادتها الملوك وكتبها الأكابر، وكان فصيح اللسان، راوية للشعر، عارفاً بأيام المتقدمين وأخبار المتأخرين، صبيح الوجه، وولي قضاء مصر مرات ثم اعتزل، أما تصانيفه فكثيرة جليلة، منها: الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة ولسان الميزان، والإحكام لبيان ما في القرآن من الأحكام وغيرها، انظر: الأعلام، الزركلي (١ / ١٧٨).

(٤) فتح الباري، ابن حجر (١ / ٤٣٩).

(٥) رواه مسلم: كتاب الفضائل، باب: تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم على جميع الخلائق ٧ / ٥٩ ح ٢٢٧٨.

(٦) رواه البخاري: كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه (١ / ١٧ ح ٤٤).

(٧) الحلبي: ٢٢٨-٤٠٣هـ: الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الجرجاني، أبو عبد الله، فقيه شافعي، قاض، كان رئيس أهل الحديث فيما وراء النهر، له المنهاج، في شعب الإيمان، ثلاثة أجزاء، قال الأسنوي: جمع فيه أحكاماً كثيرة ومعاني غريبة لم أظفر بكثير منها في غيره، انظر: الأعلام، الزركلي (٢ / ٢٢٥).

يَدِيهِ وَلَا مِنْ خَلْفَةٍ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ [فصلت: ٤١-٤٢]، فقيل معناه: ليس فيما تقدمه ما يكذبه، ولا يأتي بعده ما يدفعه وفي هذا ما دل على أن هذه الرسالة أفضل الرسالات، قال تعالى: ﴿يَأْيُهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَءَامِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٧٠] فمن حكمته ورحمته العظيمة إرسال الرسول ﷺ إليهم؛ ليعرفهم الهدى من الضلال، والغي من الرشد، فمجرد النظر في رسالته دليل قاطع على صحة نبوته^(١).

كما خص الله نبينا ﷺ من بين البشر بأن أقسم بحياته فقال: ﴿لَعَنَرِكُ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَغْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢] فبان أنه أفضلهم وأكرمهم. ومنها: أن الله تعالى جمع له بين إنزال الملك عليه وإصعاده إلى مساكن الملائكة وبين إسماعه كلام الملك وإراءته إياه في صورته التي خلقه الله عليها، وجمع له بين إخباره عن الجنة والنار، وإطلاعه عليهما، فصار العلم واقعًا بالعالمين: دار التكليف ودار الجزاء عيانًا^(٢).

قال البيهقي^(٣): ومما يدل على فضل نبينا ﷺ: أن الله جل ثناؤه لم يخاطبه في القرآن قط إلا بالنبى أو الرسول ولم يناده باسمه فقال: ﴿يَأْيُهَا النَّبِيُّ﴾ [التوبة: ٧٣] وقال: ﴿يَأْيُهَا الرَّسُولُ﴾ [المائدة: ٦٧]، وأما سائر الأنبياء عليهم السلام فإنه دعاهم بأسمائهم^(٤)، فقال تعالى: ﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾ [البقرة: ٣٣] وقال: ﴿يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥]، وقال: ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ [هود: ٧٦] وقال: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ [يوسف: ٢٩].

وروى أنس بن مالك رضي الله عنه أنه ﷺ قال: (أنا أكثر الأنبياء تبعًا)^(٥)، وقال ﷺ: (لم يصدق نبي من الأنبياء نبيًا ما يصدق من أمته إلا رجل واحد)^(٦)؛ ولهذا

١١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص ٢١٥.

١٢) المنهاج الحليمي ١/٨٥.

١٣) البيهقي: ٢٨٤١ - ٤٥٨ هـ؛ أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر: من أئمة الحديث، قال إمام الحرمين: ما من شافعي إلا وللشافعي فضل عليه غير البيهقي، فإن له المنة والفضل على الشافعي، لكثرة تصانيفه في نصرته مخهبه، وقال الخهبي: لو شاء البيهقي أن يعمل لنفسه مخهبا يجتهد فيه لكان قادرا على ذلك، لسعة علومه ومعرفته بالاختلاف، له تصانيف كثيرة منها: السنن الكبرى، والسنن الصغرى، وفضائل الصحابة، ودلائل النبوة، انظر: الأعلام، الزركلي ١/١١٦.

١٤) شعب الإيمان، البيهقي ١/٧٥.

١٥) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب في قول النبي ﷺ: أنا أول الناس يشفع في الجنة، وأنا أكثر الأنبياء تبعًا (١٣٠/١)، ح ١٩٦١.

١٦) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب في قول النبي ﷺ: أنا أول الناس يشفع في الجنة، وأنا أكثر الأنبياء تبعًا (٢٠١/١)، ح ١٩٦١.

عنون علماء المسلمين في كتبهم أبواباً في ذلك فقد ذكر النووي^(١) في شرح صحيح مسلم باب: (تفضيل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على جميع الخلائق)^(٢)، وذكر الآجري^(٣) باباً في كتابه الشريعة باب: (ذكر ما فضل الله عز وجل به نبينا صلى الله عليه وسلم في الدنيا من الكرامات على جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام)^(٤)، فهو صلى الله عليه وسلم سيد المرسلين، وأفضل الأولين والآخرين، وخاتم النبيين، ورحمة الله للعالمين.

المطلب الثاني: بيان حقيقة النبوة

لما كانت مسائل النبوة من المسائل المهمة في هذا الحديث؛ نظراً لترتب الشرط عليها اقتضى ذلك ذكر ما يتعلق بها من بيان حقيقة النبوة وذلك للتأكيد على أهميتها.

فالنبوة واسطة بين الخالق والمخلوق في تبليغ شرعه وسفارة بين الملك وعبده، ودعوة من الرحمن الرحيم تبارك وتعالى لخلقه؛ ليخرجهم من الظلمات إلى النور، وينقلهم من ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، فهي نعمة مهداة من الله تعالى إلى عبده، وفضل إلهي يتفضل بها عليهم هذا في حق المرسل إليهم، أما في حق المرسل نفسه، فهي امتنان من الله يمن بها عليه، واصطفاء من الرب له من بين سائر الناس، وهبة ربانية يختصه الله بها من بين الخلق كلهم.

والنبوة لا تتال بعلم ولا رياضة، ولا تدرك بكثرة طاعة أو عبادة، ولا تأتي بتجويد النفس أو إظمائها كما يظن البعض، وإنما هي محض فضل إلهي، ومجرد اصطفاء رباني، وأمر اختياري، فالله تعالى كما أخبر عن نفسه فقال: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [البقرة: ١٠٥]، فالنبوة إذاً لا تأتي باختيار النبي ولا تتال بطلبه^(٥).

(١) النووي: ٦٢١-٦٢٦هـ، يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحوراني، النووي، الشافعي، أبو زكريا، محيي الدين، علامة بالفقه والحديث، وصنف التصانيف النافعة في الحديث والفقه وغيرها كشرح مسلم والروضة وشرح المهذب والمنهاج والتحقيق والأذكار ورياض الصالحين والإرشاد والتقريب كلاهما في علوم الحديث وتهذيب الأسماء واللغات ومختصر أسد الغابة في الصحابة والمبهمات وغير ذلك. وكان إماماً بارعاً حافظاً متقناً، انظر: طبقات الحفاظ، السيوطي (١/٥١٢)، وانظر أيضاً: الأعلام، الزركلي (٨/١٤٩).

(٢) شرح النووي على مسلم، النووي (١٥/٣٧).

(٣) الآجري: ٣٦٠-٣٦١هـ، محمد بن الحسين بن عبد الله، أبو بكر الآجري، فقيه شافعي محدث، له تصانيف كثيرة، منها: الشريعة، والأربعين حديثاً، والشبهات، وأخلاق حملة القرآن، وغيرها، انظر: الأعلام، الزركلي (٦/٩٧).

(٤) الشريعة، الآجري (٢/١٥٥٢).

(٥) النبوات، ابن تيمية، ص ١٩.

أولاً: مفهوم النبوة والرسالة

جمع الله سبحانه لنبيه ﷺ بين النبوة والرسالة ولحاجة الناس إلى معرفة النبوة والإقرار بالرسول سأوضح المراد بالنبى والرسول والعلاقة بينهما مع ذكر أقوال العلماء. النبوة تأتي في اللغة: من النبأ وهو الخبر، قال تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۚ عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ ۚ﴾ [النبا: ٢-١]، قيل عن القرآن، وقيل عن البعث، وقيل عن أمر النبى ﷺ، قال الفراء^(١): النبيء: المخبر عن الله، عز وجل؛ لأنه أنبأ عنه، وهو فعيل بمعنى فاعل.

وقيل: النبي مشتق من النباوة، وهي الشيء المرتفع. أي ما ارتفع من الأرض. فإن جعلت النبي مأخوذاً منه، أي أنه شرف على سائر الخلق فأصله غير الهمز، وهو فعيل بمعنى مفعول^(٢).

قال ابن تيمية - رحمه الله -: لفظ النبي من النبأ. وأصله الهمزة، وقد فُرىء به، وهي قراءة نافع^(٣)، يقرأ النبيء؛ لكن لما كثر استعماله لينت همزته، كما فعل مثل ذلك في: الذرية، وفي البرية وقد قيل: هو من النبوة؛ وهو العلو؛ فمعنى النبي: المعلى، الرفيع المنزلة، والتحقيق: أن هذا المعنى داخل في الأول، فمن أنبأه الله وجعله منبأً عنه، فلا يكون إلا رفيع القدر عليا، وأما لفظ العلو والرفعة: فلا يدل على خصوص النبوة، إذ كان هذا يوصف به من ليس بنبي، بل يوصف بأنه الأعلى، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَهْنُؤْا وَلَا تَحْزَنْوْا وَأَنْتُمْ الْآعْلَوْنَ﴾ [آل عمران: ١٣٩] وقراءة الهمزة قاطعة بأنه مهموز، وأيضا: فإن تصريفه: أنبأ وأنبأ، ينبىء وينبىء بالهمزة^(٤).

واصطلاحاً: "هي خبر خاص يكرم الله عز وجل به أحدا من عباده فيميزه عن غيره بإلقائه إليه ويوقفه به على شريعته بما فيها من أمر ونهي ووعظ وإرشاد ووعد ووعد"^(٥).

(١) الفراء: ١٤٤ - ٢٠٧ هـ يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي. أبو زكريا. المعروف بالفراء إمام الكوفيين. وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب. وكان مع تقدمه في اللغة فقيهاً متكلماً. عالماً بأيام العرب وأخبارها. عارفاً بالنجوم والطب. يميل إلى الاعتزال. من كتبه: المقصور والمدود. معاني القرآن ومشكل اللغة وغيرها. انظر: الأعلام. الزركلي ١٤٥/٨١.

(٢) انظر: تمهيب اللغة. الزهري ٣٤٩/١٥. وانظر أيضاً: الصحاح للجوهري ٢٥٠٠/٦١. وانظر أيضاً: لسان العرب. ابن منظور ١٦٢/١٦٢.

(٣) نافع: ١٦٩-٢٠٠ هـ نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي بالولاء المدني. أحد القراء السبعة المشهورين. شديد السواد. صبيح الوجه. حسن الخلق. فيه دعابة. أصله من أصبهان. اشتهر في المدينة وانتهد إليه رياسة القراءة فيها. وأقرأ الناس أيضاً وسبعين سنة. وتوفي بها. انظر: الأعلام. الزركلي ٥/٨١.

(٤) انظر: النبوات. ابن تيمية ٨٨١/٢-٨٨٣.

(٥) شعب الإيمان. البيهقي ٢٨٠/١.

أما الرسول في اللغة يأتي بمعنى: الإرسال: التوجيه، وقد أرسل إليه، والرسول الذي يتابع أخبار الذي بعثه أخذاً من قولهم جاءت الإبل رسلاً أي متتابعة^(١).
والرسول أخص من النبي؛ لأن كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا^(٢).

وقد اختلفت أقوال أهل العلم بين النبي والرسول على ما يلي:

منهم من قال أن من جاءه الملك ظاهراً وأمره بدعوة الخلق فهو الرسول، ومن لم يكن كذلك، بل رأى في النوم كونه رسولاً أو أخبره أحد من الرسل بأنه رسول الله، فهو النبي الذي لا يكون رسولا.

وقيل: الرسول هو من أوحى إليه بشرع جديد، والنبي هو المبعوث لتقرير شرع من قبله^(٣).

وقيل: أن الرسول من بعث لتبليغ الوحي، ومعه كتاب، والنبي من بعث لتبليغ الوحي مطلقاً، سواء كان بكتاب أو بلا كتاب، كيوشع عليه السلام، فكان النبي أعم من الرسول^(٤).

وقيل: النبي هو الذي ينبئه الله، وهو ينبي بما أنبأ الله به، فإن أرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليلبغه رسالة من الله إليه؛ فهو رسول، وأما إذا كان إنما يعمل بالشرعية قبله، ولم يرسل هو إلى أحد يبلغه عن الله رسالة؛ فهو نبي، وليس برسول، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ [الحج: ٥٢] ذكر إرسالاً يعم النوعين، وقد خص أحدهما بأنه رسول؛ فإن هذا هو الرسول المطلق الذي أمره بتبليغ رسالته إلى من خالف الله؛ كنوح عليه السلام^(٥).

"ومما اشتهر على ألسنة أهل العلم من أن النبي هو من أوحى إليه وحي ولم يؤمر بتبليغه، وأن الرسول هو النبي الذي أوحى إليه، وأمر بتبليغ ما أوحى إليه: غير صحيح؛ لأن قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ [الحج: ٥٢] يدل على أن كلا منهما مرسل، وأنهما مع ذلك بينهما تغاير"^(٦).

١: لسان العرب. ابن منظور (١١/٢٤٨).

٢) شعب الإيمان. البيهقي (١/٢٨٠). وانظر أيضاً: لسان العرب. ابن منظور (١١/١٦٣).

٣) مفاتيح الغيب. الرازي (٢٢/٢٣٦).

٤) التباية شرح الهداية. العيني (١/١١٦).

٥) النبوات. ابن تيمية (٢/٧١٤).

٦) أضواء البيان. الشنقيطي (٥/٢٩٠).

"كما ذكر أن الرسول: من بعثه الله إلى قوم، وأنزل عليه كتابًا، أو لم ينزل عليه كتابًا لكن أوحى إليه بحكم لم يكن في شريعة من قبله؛ والنبي: من أمره الله أن يدعو إلى شريعة سابقة دون أن ينزل عليه كتابًا، أو يوحي إليه بحكم جديد ناسخ أو غير ناسخ، وعلى ذلك، فكل رسول نبي، ولا عكس، وقيل: هما مترادفان، والأول أصح" (١).

وأفضل هذه الأقوال

أن من نبأه الله بخبر السماء، إن أمره أن يبلغ غيره فهو نبي رسول، وإن لم يأمره أن يبلغ غيره، فهو نبي وليس برسول. فالرسول أخص من النبي، فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً، ولكن الرسالة أعم من جهة نفسها، فالنبوة جزء من الرسالة، إذ الرسالة تتناول النبوة وغيرها، بخلاف الرسل، فإنهم لا يتناولون الأنبياء وغيرهم، بل الأمر بالعكس، فالرسالة أعم من جهة نفسها، وأخص من جهة أهلها (٢). وقد جمع الله لنبيه محمد ﷺ بين النبوة والرسالة قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبًا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]. فالرسالة تتناول النبوة وغيرها بخلاف النبوة؛ فإنها لا تتناول الرسالة (٣).

ثانياً: بيان حقيقة النبوة

مع كون النبوة منحة إلهية إلا أن الله لا يختار لها إلا أناساً خصهم وميزهم بخصائص ومميزات ليست موجودة في البشر، فالرسل أكمل البشر خلقاً وخلُقاً، وأرحمهم عقلاً، وأوفرهم ذكاءً وهذا هو شأن الرسل أجمعين، والرسول ﷺ حينما اصطفاه الله لمهمة الرسالة الخاتمة، خصه بخصائص ليست موجودة في غيره، وهياً تهيئة خاصة تتناسب مع هذه المهمة الجليلة.

وظهرت آثار اصطفاء الله له في جوانب كثيرة منها:

١- طهارة نسبه: كان ﷺ من سلالة آباء كرام كانوا سادات قومهم في النسب والشرف والمكانة.

وهو خير أهل الأرض نسبا على الإطلاق، فلنسبه من الشرف أعلى ذروة، وأعداؤه كانوا يشهدون له بذلك، فأشرف القوم قومه، وأشرف القبائل قبيلته، وأشرف الأفاخذ فخذ ﷺ (٤).

(١) مخكرة التوحيد، عبد الرزاق عضي، ص ٤٢.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز ١٥٥/١.

(٣) مجموع الفتاوى ١٠٧/١.

(٤) زاد المعاد، ابن القيم ٧٠/١.

٢- تعهد الله برعايته وحفظه: نشأ صلى الله عليه وسلم على الفطرة السليمة فلم يتدنس بأدران الجاهلية، فقد أحاطه الله بالحفظ والرعاية منذ صغره؛ لتهيئاً للنبوة والرسالة، وبُغض إليه ما كان في قومه من خرافاتٍ وسوء، فلم يشهد أعياد الأوثان ولا احتفالات الشرك، ولم يأكل ما ذبح على النصب أو أهل به لغير الله، ولم يشرب الخمر ولم يحضر مجال اللهو ونواديهما التي كانت ملتقى الأجابة في مكة، وكان لا يصبر على سماع الحلف باللات والعزى فضلاً عن مس الأصنام والتقرب إليها، فكان مثلاً للأخلاق والخصال الحميدة صلى الله عليه وسلم (١).

٣- عصمته: عصم الله النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه كثيرة منها

- **عصمته صلى الله عليه وسلم مما يقدح في نبوته:** كوقوع الخطأ والنسيان أو الكذب والكتمان فيما يبلغه عن الله قال تعالى: ﴿وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ ۙ ١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۙ ٢ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۙ ٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۙ ٤﴾ [النجم: ١-٤] والمقسم عليه تنزيه الرسول صلى الله عليه وسلم عن الضلال في علمه، والغى في قصده، ويلزم من ذلك أن يكون مهتدياً في علمه، هادياً، حسن القصد، ناصحاً للأمة بخلاف ما عليه أهل الضلال من فساد العلم، وفساد القصد (٢)، فلا يجوز عليه الخطأ ويجوز على غيره من الأنبياء؛ لأنه خاتم النبيين فليس بعده من يستدرك خطأه بخلافهم فذلك عصمه الله تعالى منه (٣).

- **عصمته من القتل وتسلط أعدائه عليه:** فقد حفظه له من أهل مكة وصناديدها وحسادها ومعانديها ومتزفيها، مع شدة العداوة والبغضة، ونصب المحاربة له ليلاً ونهاراً، بما خلقه الله من الأسباب العظيمة بقدرته وحكمته العظيمة، فصانه في ابتداء الرسالة بعمه أبي طالب إذ كان رئيساً مطاعاً كبيراً في قريش، فلما مات عمه أبو طالب، نال منه المشركون أذى يسيراً، ثم قبض الله له الأنصار فبايعوه على الإسلام، وكلما هم أحد من المشركين وأهل الكتاب بسوء كاده الله، ورد كيده عليه، كما كاده اليهود بالسحر فحماه الله منهم، وأنزل عليه سورتي المعوذتين دواء لذلك الداء، ولما سمه اليهود في ذراع تلك الشاة بخبير، أعلمه الله به وحماه منه (٤) ﴿وَإِذْ يَحْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُبْنِيَنَّوْكَ أَوْ يُقْتَلُوْكَ أَوْ يَخْرُجُوْكَ وَيَخْكُرُونَ وَيَخْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَخْرُورِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠]

(١) انظر: روضة الأنوار، المباركفوري، ص ١٧.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص ٨١٨.

(٣) انظر: الخصائص الكبرى، السيوطي، ٢٤٨/٢.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١٢٩/٣.

- بلوغه غاية الكمال خلقاً وخلقاً: النبي ﷺ أعلى الناس قدراً، وأعظمهم محلاً، وأكملهم محاسناً وفضلاً، جمع محاسن الخلق والأخلاق، قد خصه الله تعالى في ذلك بخصائص لم توجد في غيره^(١) قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

- تكريمه بإنزال الوحي: قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [يوسف: ٣] أي بما اشتمل عليه هذا القرآن الذي أوحيناه إليك، وفضلناك به على سائر الأنبياء، وذاك محض منة من الله وإحسان^(٢).

- كونه خاتم الأنبياء: قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٠] فقد اختصه الله بذلك فهو خاتم النبيين وآخرهم بعناً وناسخ لجميع الشرائع قبله وبأن شرعه مؤبد إلى أتباعه^(٣).

ثالثاً: بشرية الرسول ﷺ وعبوديته

الرسول الله ﷺ بشرٌ تجري عليه الخصائص البشرية من النوم والأكل والشرب والمرض والموت ﷺ وقد دلت على ذلك النصوص الشرعية قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ۚ ٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ۚ ٣١﴾ [الزمر: ٣٠-٣١] والرسول ﷺ قد مات ميتة جسدية فارقت روحه جسده فيها، وقد انقطع عمله بموته كما روى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول ﷺ أنه قال: (إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له)^(٤)، فكل ما نعمله وما نتعلمه فإنما هو بدالته ﷺ فيكون له مثل أجر من عمل به ﷺ.

والرسول ﷺ أخبر عن نفسه بقوله: (إنما أنا بشرٌ مثلكم أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني)^(٥) وقالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ: (ما كان إلا بشراً من البشر يغسل ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه)^(٦).

والرسول ﷺ ساوى البشر فى البشرية، لكن الله تعالى امتازه عنهم وخصه بالخصوصية الإلهية التي هي تبليغ الأمور الدينية^(٧) حيث قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا

(١) انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض (١/٤٥٥).

(٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص ٢٩٣.

(٣) انظر: الخصائص الكبرى، السيوطي (٢/٣١٨).

(٤) رواه مسلم، كتاب الوصية، باب: ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته (٢/١٢٥٥)، ح (١٦٦١).

(٥) رواه البخاري: كتاب الصلاة، باب التوجه نحو القبلة حيث كان (١/ ٨٩)، ح (٤٠١).

(٦) أخرجه أحمد في مستدركه، مسند عائشة رضي الله عنها (١٢/ ٦٢١٤، ح (٢٦٨٣٥)، صححه الألباني، انظر: صحيح

الجامع، ص ٤٩٩٦.

(٧) المفهم، القرطبي (٣/١٧٠).

أَنَا بَشَرٌ مِّثْلَكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ [فصلت: ٦].

وقد رد الله تعالى على كفار قريش حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ۙ ٩٠ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خُلَلَهَا تَفْجِيرًا ۙ ٩١ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا مِثْلَ آبٍ أَوْ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا مِثْلَ بُرُوقٍ ۗ ٩٢ أَوْ يُكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا مِثْلَ بُرُوقٍ ۗ ٩٣ فَلَنْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ۙ ٩٤﴾ [الإسراء: ٩٠-٩٤] ولما كانت هذه تعنتات وتعجيزات، وكلام أسفه الناس وأظلمهم، المتضمنة لرد الحق وسوء الأدب مع الله، وأن الرسول ﷺ هو الذي يأتي بالآيات؛ لذلك أمر الله سبحانه وتعالى نبيه أن ينزهه عما يقولون، فسبحانه أن تكون أحكامه وآياته تابعة لأهوائهم الفاسدة، وأرائهم الضالة والرسول ﷺ بشرًا رسولًا ليس بيده شيء من الأمر^(١). وهذا السبب الذي منع أكثر الناس من الإيمان، حيث كانت الرسل التي ترسل إليهم من جنسهم بشرًا، وهذا من رحمته بهم، أن أرسل إليهم بشرًا منهم، فإنهم لا يطبقون التلقي من الملائكة؛ لأن القلب يميل إلى بني جنسه^(٢).

وكمال المخلوق في تحقيق عبوديته لله تعالى. وكلما ازداد العبد تحقيقًا للعبودية ازداد كماله وعلت درجته ومن توهم أن المخلوق يخرج عن العبودية بوجه من الوجوه، وأن الخروج عنها أكمل، فهو من أجهل الخلق وأضلهم، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحٰنَهُ ۗ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦]. وذكر الله نبيه ﷺ باسم العبد في أشرف المقامات، فقال تعالى: ﴿سُبْحٰنَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ ۗ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١] وقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن: ١٩] وقال تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيَّ عَبْدِهِ ۗ مَا أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١٠] وقال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ ۗ﴾ [البقرة: ٢٣] وبذلك استحق التقديم على الناس في الدنيا والآخرة؛ ولذلك يقول المسيح عليه السلام يوم القيامة، إذا طلبوا منه الشفاعة بعد الأنبياء عليهم السلام؛ اذهبوا إلى محمد، عبد غفر له تقدم من ذنبه وما تأخر، فحصلت له تلك المرتبة بتكميل عبوديته لله تعالى^(٣).

(١) تيسير الكريم الرحمن. السعدي، ص ٤٦٦.

(٢) انظر: معالم التنزيل، البغوي (١٣١/٥).

(٣) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي (١٣٩/١-١٤٠).

وقد عابوا عليه أن يكون بشراً من جنسهم ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ٧] يعنون أنه لو كان رسولاً من عند الله لكان ملكاً من الملائكة لا يحتاج إلى الطعام، ولا إلى المشي في الأسواق، وادعاء الكفار أن الذي يأكل كما يأكل الناس، ويحتاج إلى المشي في الأسواق، لقضاء حاجته منها، لا يمكن أن يكون رسولاً، وأن الله لا يرسل إلا ملكاً لا يحتاج للطعام ولا للمشي في الأسواق، وقد كذبهم الله بها في دعواهم هذه الباطلة، وبين فيها أن الرسل يأكلون ويمشون في الأسواق ويتزوجون ويولد لهم، وأنهم من جملة البشر، إلا أنه فضلم بوحيه ورسالته، وأنه لو أرسل للبشر ملكاً ل جعله رجلاً، وأنه لو كانت في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين، لنزل عليهم ملكاً رسولاً؛ لأن المرسل من جنس المرسل إليهم قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٢٠] وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ٣٨] وقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٣] أي ولم نجعلهم ملائكة؛ لأن كونهم رجالاً وكونهم من أهل القرى، صريح في أنهم ليسوا ملائكة وقد أمر الله نبيه ﷺ أن يقول للكفار: إنه بشر، وإنه رسول وذلك؛ لأن البشرية لا تنافي الرسالة^(١).

فكان الرسول ﷺ أكمل الناس بشراً وأعظمهم قدراً وعبودية، قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "حقق الله له نعت العبودية في أرفع مقاماته حيث قال: ﴿سُبْحٰنَ الَّذِي أَسْرٰى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١] وكما قال تعالى: ﴿فَأَوْحٰى إِلَيَّ عَبْدِهِ مَا أَوْحٰى﴾ [النجم: ١٠] وكما قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن: ١٩]؛ ولهذا يشرع في التشهد وفي سائر الخطب المشروعة أن نقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وكان رسول الله ﷺ يحقق عبوديته؛ لئلا تقع الأمة فيما وقعت فيه النصارى في المسيح من دعوى الألوهية"^(٢).

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ أَلَيْسَ اللَّهُ بَكَّافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦] أي: أليس من كرمه وجوده، وعنايته بعبده، الذي قام بعبوديته، وامتثل أمره واجتنب نهيه، خصوصاً أن أكمل الخلق عبودية لربه، هو محمد ﷺ فإن الله تعالى سيكفيه في أمر دينه ودينه،

(١) انظر: أضواء البيان، الشنقيطي ١٨١٧/٦.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية ٦٦٨١.

ويدفع عنه من ناوأه بسوء ^(١).

والتعبير بلفظ العبد في هذا المقام العظيم يدل دلالة واضحة على أن مقام العبودية هو أشرف صفات المخلوقين وأعظمها وأجلها إذ لو كان هناك وصف أعظم منه لعبر به في هذا المقام العظيم الذي اخترق العبد فيه السبع الطباق ورأى من آيات ربه الكبرى ^(٢). مما يدل على بشرية الرسول صلى الله عليه وسلم وعبوديته على أكمل وجه.

المبحث الثاني: الدلائل على صدق نبوته صلى الله عليه وسلم

الإيمان بالنبوة هو الطريق الموصل إلى معرفة الله ومحبته، والمسلك المفضي إلى رضوان الله وجنته، والسبيل إلى النجاة من عذاب الله، والفوز بمغفرته، فالله تعالى هو الذي يقسم ذلك، ويفضل به على من يشاء من الناس، ويصطفي من يشاء من عباده، ويختار من يشاء ما كانت الخيرة لأحد غيره، وما كان الاجتناء لأحد سواه. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: "والإيمان بالنبوة أصل النجاة والسعادة، فمن لم يحقق هذا الباب اضطرب عليه باب الهدى والضلال، والإيمان والكفر، ولم يميز بين الخطأ والصواب" ^(٣).

وسأذكر في هذا المبحث المراد بالدلائل ودلائل صدق نبوته صلى الله عليه وسلم والمراد بالمعجزة وطرق إثباتها.

المطلب الأول: المراد بدلائل النبوة

دلائل النبوة كثيرة ومتنوعة، فالأدلة كلما كثرت وتواردت على مدلول واحد، كان أوكد وأظهر وأيسر لمعرفة الحق ^(٤) فهي كما يقول ابن تيمية - رحمه الله -: "دلائل النبوة من جنس دلائل الربوبية، فيها الظاهر والبين لكل أحد، كالحوادث المشهودة فإن الخلق كلهم محتاجون إلى الإقرار بالخالق والإقرار بالرسالة" ^(٥). ودليل النبوة لا يقتصر على المعجزة كما يقول بعض المتكلمين ^(٦)، بل دلائل نبوته متعددة كلها دالة على صدقه، وقد عرف صدق النبي صلى الله عليه وسلم بآية وبغير آية، وذلك بما يعرف بالمسلك الشخصي، الذي هو الاستدلال على صدقه صلى الله عليه وسلم بصفاته والصدق في أخباره، والمسلك النوعي الذي هو الاستدلال على صدقه بما جاء به صلى الله عليه وسلم.

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٧٢٤.

(٢) أضواء البيان، الشنقيطي ٨٧٢.

(٣) النبوات، ابن تيمية (٢٠/١).

(٤) الجواب الصحيح، ابن تيمية ٤٢٩/٦.

(٥) النبوات، ابن تيمية (٤٢/١).

(٦) انظر: المصدر السابق (١/٥٢٤).

يقول شيخ الإسلام - رحمه الله - عن المسلك الشخصي: "وكذلك أبو بكر وزيد بن حارثة وغيرهما، علموا صدقه علماً ضرورياً، لما أخبرهم بما جاء به وقرأ عليهم ما أنزل عليه، وبقي القرآن الذي قرأه آية، وما يعرفون من صدقه وأمانته، مع غير ذلك من القرائن، يوجب علماً بأنه صادق" (١).

وأما المسلك النوعي: هو مما استدل به النجاشي على نبوته فإنه لما استخبرهم عما يخبر به واستقرأهم القرآن فقرعوه عليه قال: إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة (٢).

فطريق معرفة الأنبياء كطريق معرفة نوع من الأدميين خصهم الله بخصائص يعرف ذلك من أخبارهم واستقرأ أحوالهم، كما يعرف الأطباء والفقهاء، ولهذا إنما يقرر الرب تعالى في القرآن أمر النبوة وإثبات جنسها بما وقع في العالم من قصة نوح وقومه وهود وقومه وسائر الأنبياء (٣).

وكل من ادعى النبوة بعده ﷺ كاذب (٤) فالنبوة مشتملة على علوم وأعمال لا بد أن يتصف الرسول بها، وهي أشرف العلوم، وأشرف الأعمال، فكيف يشتهب الصادق فيها بالكاذب؟ (٥).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: "كثير من الناس يعلم صدق النبي بلا آية، وكثير من الناس يعلم صدق المخبر بلا آية البتة، بل إذا أخبره وهو خبير بحاله، أو بحال ذلك المخبر، أو بهما علم بالضرورة: إما صدقه، وإما كذبه (٦)".

فالمراد بالدلائل لغة: (دليل) أدل عليه وتدل انبسط، وقال ابن دريد (٧): أدل عليه وثق بمحبته فأفرط عليه، وفي المثل: أدل فأمل، والاسم الدالة، (٨) والدلال والدل قريب المعنى من الهدى، وهما من السكنينة والوقار في الهيئة والمنظر والشمائل وغير ذلك.

(١) انظر: المصدر السابق ٢/٨٨٦-٨٨٧.

(٢) شرح العقيدة الأصفهانية، ابن تيمية، ص ١٤٢.

(٣) النبوات، ابن تيمية (١/١٩٨).

(٤) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي (١/١٦٧).

(٥) شرح العقيدة الأصفهانية، ابن تيمية، ص ١٤٠.

(٦) النبوات، ابن تيمية (٢/٨٨٥).

(٧) ابن دريد: ٢٢٣-٢٢٢هـ - محمد بن الحسن بن دريد الأزدي. من أزد عمان من قحطان، أبو بكر من أئمة اللغة والأدب. كانوا يقولون: ابن دريد أشعر العلماء وأعلم الشعراء. من كتبه: الاشتقاق، المقصور والمدود، ذخائر

الحكمة وتقويم اللسان وأدب الكاتب وغير ذلك. انظر: الأعلام، الزركلي (٦/٨٠).

(٨) لسان العرب، ابن منظور (١١/٢٤٧-٢٤٨).

واصطلاحاً: هي آيات منه تتضمن إخباره لعباده بأن هذا رسوله وأمره لهم بطاعته ففيها الإعلام والإلزام^(١).

وعرفها البيهقي: "ما أيد الله به كل واحد من رسله بما دل على صدقه من الآيات والمعجزات التي باينوا بها من سواهم مع استوائهم في عين ما أيدوا به"^(٢). وهي سفارة العبد بين الله تعالى وبين الألباب من عباده^(٣).

فالإيمان بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم أصل عظيم من أصول الإيمان، فيجب على كل عبد محبته وطاعته والافتداء به دون سواه، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١] فمن اتبع الرسول صلى الله عليه وسلم دل على صدق دعواه محبة الله تعالى، وأحبه الله وغفر له ذنبه، ورحمه وسدده في جميع حركاته وسكناته، ومن لم يتبعه صلى الله عليه وسلم فليس محباً لله تعالى؛ لأن محبته لله توجب له اتباع رسوله، فما لم يوجد ذلك دل على عدمها وأنه كاذب إن ادعاها، مع أنها على تقدير وجودها غير نافعة بدون شرطها، وبهذه الآية يوزن جميع الخلق، فعلى حسب حظهم من اتباع الرسول يكون إيمانهم وحبهم لله، وما نقص من ذلك نقص^(٤).

وتتبع الأدلة دليل قاطع على صدق على اثبات صدق دعوى النبوة، فذكر القرآن الدليل العقلي المتمثل بذكر المعجزات وبقاء آثار الأمم السابقة، والدليل السمعي المتمثل بالإخبار عن الأنبياء وعاقبة من كذبهم، والدليل التاريخي المتمثل في سرد أحوال وقصص الأنبياء والدليل الوجداني للترغيب لعاقبة من صدق الأنبياء والترهيب من عاقبة من كذبهم وصد عنهم.

المطلب الثاني: الدلائل على صدق نبوته صلى الله عليه وسلم

آيات الأنبياء مستلزمة لثبوت النبوة، وصدق المخبر بها والشاهد بها، فيلزم من وجودها وجود النبوة، وصدق المخبر بها، ويمتنع أن تكون مع التكذيب بها، وكذب المخبر بها فلا يجوز وجودها لمن كذب الأنبياء، ولا لمن أقر بنبوة كذاب سواء كان هو نفسه المدعي للنبوة، أو ادعى نبوة غيره.

وهذان الصنفان هما المذكوران في قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ [الأنعام:

(١) النبوات. ابن تيمية (٢/٦٦٠).

(٢) دلائل النبوة. البيهقي (١/٧١).

(٣) انظر: دلائل النبوة. الأصبهاني، ص ٣٣.

(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن. السعدي، ص ١٢٨.

[٩٣]، وهؤلاء كلهم من أظلم الكاذبين، كما قال: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ [الزمر: ٣٢]، فالمخبر بالنبوة مع ثبوتها هو الذي جاء بالصدق وصدق به، والمخبر بها مع انتفائها هو الذي كذب على الله، والمكذب بها مع ثبوتها هو الذي كذب بالحق لما جاءه^(١).

"وقد بلغت حياة النبي ﷺ من السمو غاية ما يستطيع انسان أن يبلغ، وكانت حياته قبل الرسالة مضرب المثل في الصدق والكرامة والأمانة، كما كانت بعد الرسالة كلها تضحية وصبرٌ وجهاد في سبيل الله"^(٢).

وقد أكرم الله تعالى نبيه محمداً ﷺ بفضائل جمّة وخصائص كثيرة ميّزه بها عن غيره؛ فضلاً عن مكانة النبوة التي شرفه الله بها؛ مما يشير إلى عظم قدر النبي ﷺ عند ربه تعالى.

وذكر البيهقي أن دلائل نبوته ﷺ تزيد عن ألف دليل^(٣)، كما ذكر النووي^(٤) في مقدمة شرح صحيح مسلم أنها تزيد عن ألف ومائتي دليل^(٥).

ودلائل النبوة الشاهدة بنبوة نبينا ﷺ متنوعة وكثيرة وجمعها ما يلي

- ١- إخباره ﷺ بالكثير من الغيوب الماضية والمستقبلية^(٦).
- ٢- المعجزات الحسية كانشقاق القمر، وحنين الجذع وخروج الماء من بين أصابعه وتسبيح الطعام، وإجابة الشجرة إياه حين دعاها، إخبار النبوات السابقة وتبشيرها بمقدمه ﷺ وإن كان كثير منهم حرفوها عن مواضعه^(٧).
- ٣- القرآن الكريم أعظم معجزاته وهو أمّ المعجزات الذي لا يدفعه الإنكار ولا الجحد^(٨).
- ٤- الدلائل المعنوية كدعوات نبينا ﷺ المستجابة في الأطعمة والأشربة وبركاته التي

(١) النبوات، ابن تيمية، ص ٩٧٩.

(٢) دلائل النبوة، البيهقي، المقدمة/ ٦٤.

(٣) المصدر السابق (١٠٦/١).

(٤) النووي: (٦٣١-٦٣٦هـ). يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحوراني، النووي، الشافعي، أبو زكريا، محيي الدين: علامة بالفقه والحديث. وصنف التصانيف النافعة في الحديث والفقه وغيرها كشرح مسلم والروضة وشرح المهذب والمنهاج والتحقيق والأذكار ورياض الصالحين والإرشاد والتقريب كلاهما في علوم الحديث وتهذيب الأسماء واللغات ومختصر أسد الغابة في الصحابة والمبهمات وغير ذلك. وكان إماماً بارعاً حافظاً متقناً. انظر: طبقات الحفاظ، السيوطي (٥١٢/١)، وانظر أيضاً: الأعلام، الزركلي (١٤٩/٨).

(٥) شرح النووي على مسلم، النووي (٢/١).

(٦) الجواب الصحيح، ابن تيمية (٨٠/٦).

(٧) انظر: دلائل النبوة، البيهقي، المقدمة/ ٨٨-٨٧.

(٨) انظر: دلائل النبوة، الأصبهاني، ص ٣٧.

المسائل العقيدية المتعلقة بالنبوة في حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه: (من شهد أن لا إله إلا الله وخذ لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله...)، أسمىه جارا لله الغامدي. د. ليلى كويران السلمي

ظهرت فيما دعا فيه وغير ذلك ^(١)، كحفظ الله لنبيه صلى الله عليه وسلم وكفاية الله له أعداءه، وعصمته له من الناس ^(٢).

٥- سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأخلاقه وأقواله وأفعاله وشريعته من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم ^(٣) وسأكتفي بذكر الدلائل الضمنية للحديث ومنها ما يلي:
أولاً: إرهصات النبوة

الرهص لغة: بالكسر: العرق الاسفل من الحائط، يقال: يطلق الرهص على معان، رهصت الحائط بما يقيمه ^(٤) ويقال الإرهاص: الإثبات، يقال: أرهص الشيء، إذا أثبته وأسس، وهو مجاز، ومنه إرهاص النبوة ^(٥).

والإرهاص اصطلاحاً: ما يظهر من الخوارق عن النبي صلى الله عليه وسلم قبل ظهوره، وقيل: هو إحداث أمر خارق للعادة دال على بعثة نبي قبل بعثته، وقيل: هو ما يصدر من النبي صلى الله عليه وسلم قبل النبوة من أمر خارق للعادة، وقيل: إنها من قبيل الكرامات، فإن الأنبياء قبل النبوة لا يقصرون عن درجة الأولياء ^(٦).

فقبل ولادته وبعثته ظهرت إرهصات ومقدمات؛ حتى تتهيأ البشرية لمقدم

الرسول صلى الله عليه وسلم ومنها

- **النور الذي رآته أمه:** ومن حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال: قلت يا نبي الله ما كان أول بدء أمرك؟ قال صلى الله عليه وسلم: (دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورأت أمي نورا أضاءت منه قصور الشام) ^(٧).

- **حادثة بني سعد وتطهير قلبه صلى الله عليه وسلم من حظ الشيطان:** عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة، فقال: هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه، ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه يعني - ظئره - فقالوا: إن محمداً قد قتل؛ فاستقبلوه وهو منتقع

(١) دلائل النبوة، البيهقي ٨٣/٦.

(٢) الجواب الصحيح، ابن تيمية ٢٧٢/٦.

(٣) انظر: المصدر السابق ٥٤٩/٥.

(٤) الصحاح، الجوهري ١٤٠٢/٣.

(٥) تاج العروس، الزبيدي ٦٠٨/١٧.

(٦) التعريفات، الجرجاني، ص ١٦.

(٧) أخرجه أحمد في مستنده، مستند الأنصار رضي الله عنهم. حديث أبي أمامة الباهلي الصدي بن عجلان بن عمرو ويقال: ابن وهب الباهلي عن النبي صلى الله عليه وسلم ١٠١ / ٥٢٣١، ح ٢٢٦٩٢. قال الهيثمي: واسناده حسن وله شواهد تقويه، انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: ٨١ / ٢٢٢.

اللون، قال أنس: وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره^(١).
 - **حادثة الفيل:** حيث وقعت هذه الحادثة في سنة ميلاد النبي ﷺ إرهاباً وتوطئة لظهوره

لا خلاف أنه ولد ﷺ بجوف مكة، وأن مولده كان عام الفيل، وكان أمر الفيل تقدمه قدمها الله لنبيه وبيته، وإلا فأصحاب الفيل كانوا نصارى أهل كتاب، وكان دينهم خيراً من دين أهل مكة إذ ذاك؛ لأنهم كانوا عباد أوثان فنصرهم الله على أهل الكتاب نصراً لا صنع للبشر فيه، إرهاباً وتقدمة للنبي ﷺ الذي خرج من مكة، وتعظيماً للبيت الحرام^(٢). وكان ذلك آية من الله ومقدمة لبعثة نبي يبعث في مكة، ويطهر الكعبة من الأوثان، ويعيد إليها ما كان لها من رفعة وشأن، وتكون لدينه صلة عميقة دائمة بهذا البيت، ودل هذا الحادث على قرب ظهور هذا النبي وبعثته^(٣).

- **الرؤيا الصادقة:** قالت عائشة رضي الله عنها: (أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حُبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء، فيتحنث فيه الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة، فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق -الوحي- وهو في غار حراء^(٤)) وبدئ بذلك؛ ليكون تمهيداً وتوطئة لليقظة، ثم مهد له في اليقظة أيضاً رؤية الضوء وسماع الصوت وسلام الحجر^(٥).

ثانياً: المبشرات

امتألت كتب السير والتاريخ بالمبشرات التي أشارت إلى قرب ظهور نبي في بلاد العرب فوردت أخباره وصفاته وعلامات رسالته عند أحبار ورهبان وعلماء ذلك الزمان عن صفته وصفة أمته واسمه وعلاماته وذكر الخاتم الذي بين كتفيه، وما وجد من ذلك في أشعار الموحدنين المتقدمين وهذا من دلائل نبوته ﷺ^(٦) ومن تلك المبشرات ما يلي

- **بشارات الأنبياء السابقين به:** لم تنزل الأنبياء تبشر برسول الله ﷺ وتصفه لأممها في الكتب، وتأمرهم باتباعه ونصره ومؤازرته إذا بعث، وقد ذكر الله في القرآن الكريم

١: رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب: الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات، وفرض الصلوات، ١٠١/١، ح: ١٦٢.

٢: زاد المعاد، ابن القيم، ١/٧٥.

٣: السيرة النبوية، أبي الحسن الندوي، ص ١٢٠.

٤: رواه البخاري، كتاب: بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ١/٧٧، ح: ٣.

٥: فتح الباري، ابن حجر، ١/٢٢٨.

٦: انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض، ١/٧١٥.

ما تضمنته الكتب السماوية والرسول المرسل من التبشير بنبينا محمد ﷺ ^(١) قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، قال علي بن أبي طالب وابن عمه ابن عباس رضي الله عنهما: "ما بعث الله نبياً إلا اخذ عليه الميثاق: لئن بعث محمد وهو حيّ ليؤمنن به، ولينصرنه ^(٢)"، وفي حديث: يا رسول الله متى وجبت لك النبوة؟ قال: (وادم بين الروح والجسد) ^(٣) وفي رواية عرياض بن سارية رضي الله عنه (وأبي منجدل في طينته) ^(٤) والمنجدل: الذي قد ألقى على الأرض، وأصله من الجدالة، وهي الأرض، والمراد: أن آدم عليه السلام كان بعد تراباً لم يصور ولم يخلق ^(٥). وهو دعوة سيدنا إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]، وبشارة عيسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ﴾ [الصف: ٦].
والعلم بأن الأنبياء قبله بشروا به يعلم من وجوه:

أحدها: ما في الكتب الموجودة اليوم بأيدي أهل الكتاب من ذكره ﷺ.
الثاني: إخبار من وقف على تلك الكتب وغيرها من كتب أهل الكتاب - ممن أسلم ومن لم يسلم - بما وجدوه من ذكره فيها، وهذا مثل ما تواتر عن الأنصار أن جيرانهم من أهل الكتاب كانوا يخبرون بمبعثه، وأنه رسول الله، وأنه موجودٌ عندهم، وكان هذا من أعظم ما دعا الأنصار إلى الإيمان به لما دعاهم إلى الإسلام، حتى آمن الأنصار به وبايعوه من غير رهبة ولا رغبة؛ ولهذا قيل: إن المدينة فتحت بالقرآن، لم تفتح بالسيف كما فتح غيرها ^(٦).

- البشارات في الكتب السماوية: لقد تحدث الكهان والأخبار والرهبان عن مبعثه

(١) الزهر النضر، ابن حجر، ص ٩١.

(٢) جامع البيان في تأويل آي القرآن، الطبري (٢/٣٩٥)، وانظر أيضاً: الجواب الصحيح، ابن تيمية (٢/٢٢٠)، وانظر أيضاً: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٢/٥٨٠).

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه، أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ. باب في فضل النبي ﷺ ٦١ / ٧ / ح ٣٦٠٩، قال الترمذي: حسن صحيح غريب.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده، مسند الشاميين رضي الله عنهم، حديث عرياض بن سارية عن النبي ﷺ ٧ / ٢٨٠٧ ح ١٧٤٢٤، صححه الحاكم وقال: صحيح الإسناد، انظر: المستدرک على الصحيحين، ص ٣٦١٢.

(٥) جامع الأصول، ابن الأثير ص ٥٤٤.

(٦) الجواب الصحيح، ابن تيمية، ص ١٦٠.

ﷺ قال ابن إسحاق: وكانت الأحبار من اليهود، والرهبان من النصارى، والكهان من العرب، قد تحدثوا بأمر رسول الله ﷺ قبل مبعثه، لما تقارب من زمانه. أما الأحبار من اليهود، والرهبان من النصارى، فعما وجدوا في كتبهم من صفة زمانه، وما كان من عهد أنبيائهم إليهم فيه. وأما الكهان من العرب: فأنتهم به الشياطين من الجن فيما تسترق من السمع إذ كانت هي لا تحجب عن ذلك بالقذف بالنجوم، وكان الكاهن والكاهنة لا يزال يقع منهما ذكر بعض أمره، لا تلقي العرب لذلك فيه بالاً، حتى بعثه الله تعالى، ووقعت تلك الأمور التي كانوا يذكرون فعرفوها^(١). وعلى الرغم من اندثار كل من التوراة والإنجيل اللذين نزلوا من عند الله على كل من موسى وعيسى عليهما السلام، وقيام بعض أتباعها بكتابة الكتابين على تباعد الأزمان واختلاف المشارب، ورغم تعدد النسخ بتعدد المعطيات الفكرية للكاتبين فإن بقايا من البشارة بخاتم المرسلين محمد ﷺ وجدت في إشارات لم يستطيعوا تحريفها .

ففي التوراة ما يلي: "أن غلاماً يهودياً كان يخدم النبي ﷺ فمرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده، فوجد أباه عند رأسه يقرأ التوراة. فقال له رسول الله ﷺ: يا يهودي! أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى، هل تجد في التوراة صفتي؟ ومخرجي؟ قال: لا. قال الفتى: بلى والله يا رسول الله، إنا نجد في التوراة نعتك ومخرجك، وإني أشهد أن لا إله إلا الله، وأنت رسول الله. فقال ﷺ: (أقيموا هذا من عند رأسه ولو أخاكم)"^(٢). وما ورد في سفر التثنية [جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتلألاً من جبل فاران]^(٣) وسيناء - هي الموضع الذي أوحى الله فيه لموسى - وساعير - الموضع الذي أوحى الله فيه لعيسى -، وفاران هي -جبال مكة-، حيث أوحى الله لمحمد ﷺ، وكون جبال فاران هي مكة دلت عليه نصوص من التوراة وقد جمع الله هذه الأماكن المقدسة في قوله تعالى: ﴿وَالْتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ ١ وَطُورِ سَيْنِينَ ٢ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ٣﴾ [التين: ١-٣] وقد ذكرت التوراة مكان الوحي إليه ففي سفر أشعيا [وحي من جهة بلاد العرب في الوعر]^(٤) وقد كان بدأ الوحي في بلاد العرب في الوعر في غار حراء، وأيضاً حديث في التوراة عن هجرة الرسول ﷺ وإشارة إلى

(١) سيرة ابن هشام، ص ١٨٩

(٢) دلائل النبوة، البيهقي ٢٧٢/٦، قال ابن تيمية: إسناده صحيح. انظر: الجواب الصحيح، ١٧٢/٥.

(٣) سفر التثنية ٢/٢٢.

(٤) سفر أشعيا ١٢/٢١.

الجهة التي هاجر إليها، وقد حوت التوراة الكثير من البشارات به .

أما في الإنجيل: جاء في إنجيل برنابا العبارات المصرحة باسم النبي محمد [فاحتجب الله وطردهما الملاك ميخائيل من الفردوس، فلما التقت آدم رأى مكتوباً فوق الباب: لا إله إلا الله محمد رسول الله] ^(١). وفي إنجيل لوقا جاء النص: [الحمد لله في الأعالي، وعلى الأرض السلام وللناس أحمداً] ^(٢) وجاء في إنجيل يوحنا [إن لم أنطلق لا يأتيكم الفارقليط] ^(٣) الفارقليط هو: الحامد أو الحماد أو أحمد ونحوهما هذا الوصف ظاهر في محمد صلى الله عليه وسلم وأمته ^(٤).

وفي يوحنا [ومتى جاء المفدي الذي أرسلته أنا إليكم من الأب روح الحق الذي من عند الأب يثبت فهو يشهد لي] ^(٥)؛ لأن النبي محمد صلى الله عليه وسلم شهد للمسيح بالنبوة والرسالة وروح الحق كناية عن الرسول محمد، وقد قال هرقل ملك الروم عندما تسلم رسالة النبي صلى الله عليه وسلم: (وقد كنت أعلم أنه خارج لم أكن أظن أنه منكم) ^(٦). فيتبين أن الأنبياء السابقين بشروا بنبوته كما ورد في نصوص القرآن الكريم والأحاديث النبوية وكذلك أسفار الكتب السماوية السابقة من التوراة والإنجيل.

- **ثالثاً: إخباره بالمغيبات:** آيات النبي صلى الله عليه وسلم استوعبت جميع أنواع الآيات الخيرية والفعلية، وإخباره عن الغيب الماضي والحاضر والمستقبل بأمر باهرة لا يوجد مثلها لأحد من النبيين قبله، فضلاً عن غير النبيين. ففي القرآن ما يثبت ذلك وكذلك في الأحاديث الصحيحة مما أخبر بوقوعه، فكان كما أخبر، وورد عن حذيفة رضي الله عنه أنه قال: (قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاماً ما ترك شيئاً يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدث به، حفظه من حفظه ونسيه من نسيه، قد علمه أصحابي هؤلاء، وإنه ليكون منه الشيء قد نسيته فأراه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه، ثم إذا رآه عرفه) ^(٧). ولو لم يكن من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم إلا ما وقع من الإخبار بالأمور الغيبية التي وقعت كما أخبر به، ولم يتخلف شيء منها، وهي كثيرة جداً وقد اشتمل القرآن الكريم على شيء من ذلك كقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ

(١) إنجيل برنابا (٤١/٢٩-٣٠)

(٢) إنجيل لوقا (٢/١٤)

(٣) إنجيل يوحنا (٧/١٦)

(٤) الجواب الصحيح، ابن تيمية (٥/٣٠٢)

(٥) إنجيل يوحنا (١٥/٢٦)

(٦) رواه البخاري، كتاب: بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله (١/٨) ح (٧)

(٧) رواه مسلم: كتاب الفتن وأشرط الساعة، باب: إخبار النبي صلى الله عليه وسلم فيما يكون إلى قيام الساعة (٨/١٧٢) ح (٢٨٩١)

لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿﴾ [الصف: ٩] فوق صدق هذا الخبر، وأظهر الله سبحانه دين الإسلام على جميع الأديان (١).
والغيوب التي أخبر بها ﷺ على أنواع:

منها ما تحقق حال حياته ﷺ، ومنها بعده، ومنها ما يكون قريباً من الساعة، وفي كل ذلك دلائل على نبوته ورسالته.

ومن الغيوب التي تنبأ بها ﷺ ووقعت حال حياته: خبر الريح التي تنبأ ﷺ بهبوبها وهو منطلق وأصحابه إلى تبوك فقال: (ستهبُ عليكم الليلة ريحٌ شديدة، فلا يُمْ فيها أحدٌ منكم، فمن كان له بغيرٌ فليشدَّ عقاله) (٢). قال القاضي عياض: "من ذلك ما أطلع عليه من الغيوب وما يكون، والأحاديث في هذا الباب بحر لا يُدرك قعره، ولا ينزفُ غمره، وهذه المعجزة من جملة معجزاته المعلومة على القطع، الواصل إلينا خبرها على التواتر، لكثرة روايتها واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب" (٣).

ومن علامات نبوته ﷺ إخباره عن ظهور الدجالين الذين يدعون النبوة، وروى أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال محذراً منهم: (لا تقوم الساعة حتى يُبعث دجالون كذابون قريباً من ثلاثين، كلهم يزعم أنه رسول الله) (٤).

ومن ذلك أيضاً: إخباره بأمور قد فاتت لا يعلمها هو ولا قومه، وأمور أيضاً هي آتية، كقوله سبحانه وتعالى: ﴿ غَلَبَتِ الرُّومُ ٢ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ٣ فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْدٍ وَيَوْمَئِذٍ يَقْرَأُ الْمُؤْمِنُونَ ٤ ﴾ [الروم: ٢-٤]، وإخباره أن ابنته فاطمة هي أول أهله لحاقاً به، فوقع الأمر كما أخبر، ففي الحديث عن عائشة رضي الله عنها أنها قات: (دعا النبي ﷺ فاطمة ابنته في شكواه الذي قبض فيه فسارها بشيء فبكت ثم دعاها فسارها فضحكت قالت عائشة فسألته عن ذلك فقالت سارني النبي ﷺ فأخبرني أنه يقبض في وجعه الذي توفي فيه فبكيت ثم سارني فأخبرني أنني أول أهل بيته أتبعه فضحكت) (٥). قال النووي: "هذه معجزة ظاهرة له ﷺ، بل معجزتان، فأخبر ببقائها بعده، وبأنها أول أهله لحاقاً به، ووقع كذلك، وضحكت سروراً بسرعة لحاقها" (٦).

(١) الفتح الرباني، الشوكاني، ص ٥٢٨.

(٢) رواه البخاري، كتاب الزكاة، باب: حرص الثمر، (١٢٥/٢) ح ١٤٨٢.

(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض (١/٣٢٥).

(٤) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام، (٢٠٠/٤) ح ٣٦٠٩.

(٥) رواه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب: مناقب قرابة النبي ﷺ ومنتقبة فاطمة بنت النبي ﷺ (٢١/٥) ح ٣٧١٥.

(٦) شرح النووي على مسلم، (٥/١٦).

ومن دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم: إخباره عن موت النجاشي في أرض الحبشة في يوم وفاته، وهذا خبر تحمله الركبان يوم ذاك في شهر، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه خرج إلى المصلى، فصف بهم، وكبر أربعاً) ^(١).

قال المباركفوري ^(٢): "وفيه علمٌ من أعلام النبوة لأنه صلى الله عليه وسلم أعلمهم بموته في اليوم الذي مات فيه، مع بُعد ما بين أرض الحبشة والمدينة" ^(٣).

ومما أخبر عنه صلى الله عليه وسلم من الغيوب الدالة على نبوته؛ أخبار الفتن التي وقعت بين أصحابه بعد وفاته صلى الله عليه وسلم، فكان إخباره بذلك برهان نبوته وعلم رسالته. فقد أشرف النبي صلى الله عليه وسلم يوماً على أطم من أطام المدينة فقال لأصحابه: (هل ترون ما أرى؟ قالوا: لا. قال: (فإنى لأرى الفتن تقع خلال بيوتكم كوقع القطر) ^(٤))، كذلك روى ابن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (تقاتلون اليهود حتى يختبئ أحدهم وراء الحجر فيقول: يا عبد الله هذا يهودي ورائي فاقتله) ^(٥).

رابعاً: **جوامع الكلم**: من دلائل نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ما أوتيته من جوامع الكلم، روى أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (بعثت بجوامع الكلم) ^(٦) أي أنه صلى الله عليه وسلم كان يتكلم بالقول الموجز، القليل اللفظ، الكثير المعاني ^(٧).

قال الهروي ^(٨): يعني به القرآن جمع الله تعالى في الألفاظ اليسيرة منه المعاني الكثيرة وكلامه صلى الله عليه وسلم كان بالجوامع قليل اللفظ كثير المعاني ^(٩)، وقال ابن التين ^(١٠):

١) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب: الرجل ينعى إلى أهل الميت بنفسه (٧٢/٢) ح (١٢٤٥).

٢) المباركفوري: ١٣٢٧-١٤١٤ هـ، عبید الله بن عبد السلام الرحمانی أبو الحسن المباركفوري: من الدعاة الهندية وأهل الحديث. وتعلم على كبار الأساتذة، وتخرج بالمدرسة الرحمانية بدلهي. وعين مدرسا بها. ثم اضطر في أثناء الاستقلال إلى ملازمة بيته والاشتغال بالتأليف وهو من مؤسسي الجامعة السلفية في بنارس وترأسها وعمل على إنشاء جامعة المعارف الإسلامية. من مؤلفاته: مرعاة المفاتيح، شرح مشكاة المصابيح، انظر: إتمام الأعلام للزركلي، نزار اباطة (١٨٠/١).

٣) تحفة الأحوذی، المباركفوري (١١٥/٤).

٤) رواه البخاري، كتاب الفتن، باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم: ويل للعرب من شر قد اقترب (٤٨/٩) ح (٧٩٦١).

٥) رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب قتال اليهود (٤٢ / ٤) ح (٢٩٢٥).

٦) رواه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم بعثت بجوامع الكلم، (٥٤/٦) ح (٢٩٧٧).

٧) فتح الباري، ابن حجر (٢٤٧/١٢).

٨) الهروي: ١١٠٠٠-١١١٠ هـ، عبد الله بن عروة الهروي، من حفاظ الحديث، له كتاب الأفضية، انظر: الأعلام، للزركلي (١٠٣/٤).

٩) انظر: شرح النووي لصحيح مسلم (٥/٥).

١٠) ابن التين: ١١٠٠٠-١١١٠ هـ، عبد الواحد بن عمر بن عبد الواحد بن ثابت المعروف بابن التين الصفاقسي، أبو عمرو، وأبو محمد، المحدث، الفقيه، شارح صحيح البخاري سماه المخير الفصيح الجامع لفوائد مسند البخاري الصحيح، انظر: تراجم الأعلام التونسيين، محمد محفوظ (٢٠٩/١).

"جوامع الكلم القرآن لأنه يقع فيه المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة، وكذلك يقع في الأحاديث النبوية الكثير من ذلك". وقيل: "معناه إيجاز الكلام في إشباع المعاني". يقول البخاري: "بلغني أن جوامع الكلم أن الله تعالى يجمع له الأمور الكثيرة التي كانت تكتب في الكتب قبله في الأمر الواحد أو الأمرين أو نحو ذلك"^(١).

وقال ابن رجب^(٢): " فجوامع الكلم التي خص بها النبي ﷺ نوعان أحدهما: ما هو في القرآن، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، قال الحسن: "لم تترك هذه الآية خيرا إلا أمرت به، ولا شرا إلا نهت عنه" وقال ابن مسعود: هذه أجمع آية في القرآن لخير يمتثل، ولشر يجتنب^(٣) وقال ابن كثير: قال ابن مسعود: "أجمع آية في القرآن هذه الآية"^(٤).

والثاني: ما هو في كلامه ﷺ، وهو منتشر موجود في السنن المأثورة عنه^(٥).

وقد أملى الإمام الحافظ^(٦) أبو عمرو بن الصلاح^(٧) مجلساً سماه الأحاديث الكلية، جمع فيه الأحاديث الجوامع التي يقال إن مدار الدين عليها، وما كان في معناها من الكلمات الجامعة الوجيهة، فاشتمل مجلسه على ستة وعشرين حديثاً، ثم إن النووي أخذ هذه الأحاديث التي أملاها ابن الصلاح، وزاد عليها تمام اثنين وأربعين حديثاً، وسمي كتابه بالأربعين، وزاد ابن رجب ثمانية أحاديث أضافها إلى الأربعين النووية في كتابه العظيم، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم^(٨).

(١) صحيح البخاري ٢٥٧٢/٦١.

(٢) ابن رجب: ٧٣٦-٧٩٥هـ عبد الرحمن بن أحمد بن رجب السلامي البغدادي ثم الدمشقي، أبو الفرج زين الدين، حافظ للحديث، من العلماء، من كتبه: شرح جامع الترمذي وجامع العلوم والحكم، وهو المعروف بشرح الأربعين، وفضائل الشام والاستخراج لأحكام الخراج والقواعد الفقهية ولطائف المعارف وفتح الباري. شرح صحيح البخاري وغير ذلك. الأعلام للزركلي ٢٩٥/٢١.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٦٥/١٠.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢١/١٤٤.

(٥) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي ٥٠/١.

(٦) ابن الصلاح: ٥٦٤٢-٥٧٧هـ عثمان بن عبد الرحمن صلاح الدين، معروف بابن الصلاح أحد الفضلاء المقدمين في التفسير والحديث والفقه، له عدة كتب منها: معرفة أنواع علم الحديث يعرف بمقدمة ابن الصلاح، و الامالي والمتاوى وشرح الوسيط في فقه الشافعية، وصلة الناسك في صفة الناسك، توفي عام ٦٤٢هـ الأعلام، للزركلي ٢٠٧/٤١.

(٧) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني ٢٣٥/١٤٤.

(٨) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي ٥١/١.

أما القرآن الكريم: روى أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما من الأنبياء من نبي، إلا قد أُعطي من الآيات، ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أُوتيتُ وحياً أوحى الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة)^(١).
قال ابن كثير في معنى الحديث: "معناه أن معجزة كل نبي انقضت بموته، وهذا القرآن حجة باقية على الأبد، لا تنقضي عجائبه، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا يشبع منه العلماء، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله"^(٢).
فالدليل على نبوة الأنبياء المعجزات، والدليل على نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم القرآن المعجز نظمه ومعناه^(٣).

وذكر ابن القيم في سياق حديثه عن معجزات الأنبياء: "وأعظمها معجزة كتاب باقٍ غض طري لم يتغير، ولم يتبدل منه شيء، بل كأنه منزل الآن، وهو القرآن العظيم، وما أخبر به يقع كل وقت على الوجه الذي أخبر به"^(٤).
قال الطبري^(٥): "ومن حجة محمد صلى الله عليه وسلم على صدقه، وبرهانه على حقيقة نبوته، وأن ما جاء به من عندي - أي من عند الله -؛ عجز جميعكم وجميع من تستعينون به من أعوانكم وأنصاركم، عن أن تأتوا بسورة من مثله، وإذا عجزتم عن ذلك وأنتم أهل البراعة في الفصاحة والبلاغة فقد علمتم أن غيركم عما عجزتم عنه من ذلك أعجز"^(٦).
فبين تعالى إعجاز القرآن، وأنه لا يستطيع أحد أن يأتي بمثله، ولا بعشر سور من مثله، ولا بسورة من مثله؛ لأن كلام الرب تعالى لا يشبه كلام المخلوقين، كما أن صفاته لا تشبه صفات المحدثات، وذاته لا يشبهها شيء^(٧).
خامساً: ختم النبوة: الخاتم هو: الذي لا يأتي بعده شيء، فالله عز وجل ختم النبوات بالنبي صلى الله عليه وسلم ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ

(١) رواه البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب: كيف نزل الوحي وأول ما نزل (٦ / ١٨٢) ح: ٤٩٨١.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٤ / ٥٨١).

(٣) شرح العقيدة الأصفهانية، ابن تيمية ص: ٢٢٠.

(٤) إغاثة اللهوان، ابن القيم (٢ / ١١٢١).

(٥) الطبري: (٢٢٤ - ٣١٠ هـ) محمد بن جرير بن يزيد، أبو جعفر، المؤرخ المفسر الإمام، وعرض عليه القضاء

فامتنع، والمظالم فأبى. وله: جامع البيان في تفسير القرآن، اختلاف الفقهاء، وهو من ثقات المؤرخين، قال

ابن الأثير: أبو جعفر أوثق من نقل التاريخ، وهي تفسيره ما يدل على علم غزير وتحقيق، وكان مجتهداً

في أحكام الدين لا يقلد أحداً، بل قلده بعض الناس وعملوا بأقواله وأرائه، انظر: الأعلام، الزركلي (٦ / ٦٩).

(٦) جامع البيان وتأويل آي القرآن، الطبري (١ / ٣٧٢).

(٧) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٨ / ١٥١).

وَحَاتَمَ النَّبِيِّينَ [الأحزاب: ٤٠] فهو ﷺ خاتم النبيين، ختم الله به النبوات فلا نبي بعده ﷺ وقد تقرر ختم النبوة في سنة النبي ﷺ من عدة أوجه:

فالوجه الأول: ضرب الأمثال، فإن النبي ﷺ ضرب مثلاً لنبوته، روى أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال: (إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بناء فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة في زاوية، فجعل الناس يطوفون في هذا البناء ويقولون: ما أجمله! إلا هذه اللبنة، فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين)^(١) وعند مسلم بزيادة لفظ: عن جابر رضي الله عنه أنه ﷺ قال: (فأنا موضع اللبنة جئت فختمت الأنبياء)^(٢). وهذا ضرب مثل لختم النبوات به ﷺ، وهذا أحد الطرق التي قرر بها النبي ﷺ ختم النبوة.

الوجه الثاني: أنه ﷺ أخبر بمجيء كذابين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين. كلهم يزعم أنه رسول الله)^(٣) فتكذيب النبي ﷺ لهؤلاء في دعوى النبوة دل ذلك على أنه خاتم النبيين.

الوجه الثالث: مما يستدل به من السنة على ختم النبوة: أسمائه ﷺ فإن من أسمائه: العاقب، فقال ﷺ: (وأنا العاقب الذي لا نبي بعده)^(٤) فلا نبي بعده ﷺ.

الوجه الرابع: ومما سلكه النبي ﷺ في تقرير ختم نبوته أنه ذكر ختم النبوة في جملة من خصائصه، ففي الحديث: (أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي)^(٥) وفي بعض رواياته: (فضلت على الأنبياء بست - وذكر آخرها - وختم بي النبيون)^(٦).

والألفاظ عند جماعة علماء الأمة خلفا وسلفا متلقة على العموم التام مقتضية نصا أنه لا نبي بعده ﷺ^(٧).

وقد اختلفت الروايات في صفته ومحلته: حيث ورد في صحيح البخاري: (بين كتفيه)^(٨)، وفي الحلية لأبي نعيم^(٩): (كان عند كتفيه)^(١٠)، وفي صحيح مسلم: (أن

١١) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب: خاتم النبيين ٤١ / ١٨٦، ح: ٢٥٢٥١.

١٢) رواه مسلم، كتاب الفضائل، باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين ٧١ / ٦٥، ح: ٢٢٨٧١.

١٣) رواه البخاري، كتاب العلم، باب من أجاب المتنبيا بأشارة اليد والرأس ١١ / ٢٨، ح: ٨٥١.

١٤) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ ٤١ / ١٨٥، ح: ٢٥٢٢٢.

١٥) سبق تخريجه.

١٦) سبق تخريجه.

١٧) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية ٤١ / ٢٨٨٧.

١٨) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب خاتم النبوة ٤١ / ١٨٦، ح: ٢٥٤١١.

١٩) أبي نعيم: ٣٣٦-٣٣٨هـ - أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني، أبو نعيم: حافظ، مؤرخ، من الثقات في الحفظ والرواية، له عدد مؤلفات ومنها: حلية الأولياء وطبقات الاصفياء، ومعرفة الصحابة، ودلائل النبوة،

وغيرها. انظر: الأعلام، الزركلي ١ / ١٥٧.

٢٠) حلية الأولياء، أبو نعيم الأصبهاني ١ / ١٩١.

المسائل العقيدية المتعلقة بالنبوة في حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه: (من شهد أن لا إله إلا الله وخذ لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله...)، أسمره جاره الله الغامدي، د. ليلى كويران السلمي

الخاتم كان كبيضة الحمامة^(١) وفي مستدرك الحاكم^(٢): (شعر مجتمعة)^(٣)، والحكمة في ختمه بخاتم النبوة؛ أنه لما ملئ قلبه حكمةً وبقينا، ختم عليه بختم النبوة، وأما حكمة وضعه بين كتفيه؛ فلأنه صلى الله عليه وسلم معصوم من وسوسة الشيطان، وذلك الموضع منه يوسوس الشيطان لابن آدم^(٤).

كما أن ختم النبوة لا يعارض نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان، فلا تبدأ نبوة ولا تشرع شريعة بعد نبوته وشريعته، فنزول عيسى عليه السلام وكونه متصفاً بنبوته السابقة لا ينافي أن عيسى عليه السلام إذا نزل إنما يتعبد بشريعة نبينا صلى الله عليه وسلم دون شريعته المتقدمة؛ لأنها منسوخة^(٥).

فختم النبوة يدل على ختم الرسالة قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠] فهذه الآية نص في أنه لا نبي بعده، وإذا كان لا نبي بعده فلا رسول بالطريق الأولى والأخرى؛ لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة فكل رسول نبي ولا ينعكس، فمن رحمة الله بالعباد إرسال محمد صلى الله عليه وسلم، ثم من تشريفه لهم ختم الأنبياء والمرسلين به، وإكمال الدين الحنيف له وقد أخبر الله تعالى في كتابه ورسوله صلى الله عليه وسلم في السنة المتواترة عنه أنه لا نبي بعده؛ ليعلموا أن كل من ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب أفاك دجال ضال مضل^(٦). روى أبو هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال: (ليوشكن أن ينزل فيكم عيسى بن مريم حكماً عدلاً فيضع الجزية، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير)^(٧). وإذا نزل عليه السلام جعل إمام هذه الأمة منها وصلى مأموماً صلى الله عليه وسلم، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (لا تزال طائفة من أمتي يقاثلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، قال: فينزل عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم فيقول أميرهم: تعال صل لنا فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة)^(٨).

(١) رواه مسلم، كتاب الفضائل، باب: شبيه النبي صلى الله عليه وسلم، ٧١ / ٨٦، ح: ٢٢٤٤.

(٢) الحاكم، ٢٢١: ٤٠٥ هـ: محمد بن عبد الله بن حمدويه بن نعيم النيسابوري، الشهير بالحاكم، ويعرف بابن البيع، أبو عبد الله، من أكابر حفاظ الحديث والمصنفين فيه، هو من أعلم الناس بصحيح الحديث وتمييزه عن سقيمه، صنف كتباً كثيرة جداً، تاريخ نيسابور، والمستدرك على الصحيحين، وتراجم الشيوخ، وغيرها. انظر: الأعلام، الزركلي، ٢٢٧/٦.

(٣) المستدرك على الصحيحين، الحاكم، ٢١: ٦٦٢، ح: ٤١٩٨.

(٤) شرح البخاري، السفيري، ٢١: ١٢٠.

(٥) انظر: لوامع الأنوار، السفاري، ٢: ٢٧٧.

(٦) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٦١: ٢٨١-٢٨٤.

(٧) رواه البخاري، كتاب الأنبياء، باب: نزول عيسى بن مريم، ٤١: ٦٨، ح: ٢٤٤٨.

(٨) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب: نزول عيسى بن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ١٣٧/١، ح: ١٥٦.

• هل تثبت النبوة بالمعجزات

اقتضت حكمة الله تعالى أن يؤيد أنبياءه ورسله بالمعجزات الواضحة والدلائل البينة مما يدل على صدق رسالتهم، وذلك بما يتناسب مع من أرسلوا إليهم، فدلائل المعجزات دلت على صدقهم، فمن ارتاب في صدقهم فجوابه بالمعجزات التي تدل قطعاً على صحة أقوالهم وصواب أفعالهم^(١).

أولاً: المراد بالمعجزة

لغة: عَجَزَ: عَجَزَ: العجز: نقيض الحزم، عجز عن الأمر يعجز وعجز عجزاً فيهما، ويقال: عجز يعجز عن الأمر إذا قصر عنه، ومعنى الإعجاز الفوت والسبق، ويقال: فلان يعاجز عن الحق إلى الباطل أي يلجأ إليه، والمعجزة: واحدة معجزات الأنبياء عليهم السلام، والعجز: مؤخر الشيء يؤنث ويذكر وهو للرجل والمرأة جميعاً، والجمع الأعجاز، والتعجيز، التثبيط^(٢).

ومعجزة النبي ﷺ ما أعجز به الخصم عند التحدي، والهاء للمبالغة، والجمع معجزات^(٣).

قال ابن حجر: "وسميت المعجزة؛ لعجز من يقع عندهم ذلك عن معارضتها، والهاء فيها للمبالغة"^(٤).

اصطلاحاً: المعجزة أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة وهي إما حسية وإما عقلية يجريه الله على يد نبيه؛ لإظهار صدقه^(٥).

وعرفها شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - بأنها: علامات وبراهين من الله، تتضمن إعلام الله لعباده وإخباره. فالدليل وهو الآية، والعلامة، لا تدل إلا إذا كان مختصاً بالمدلول عليه، مستلزماً له إما مساوٍ له، وإما أخص منه، لا يكون أعم منه غير مستلزم له، فلا يتصور أن يوجد الدليل بدون المدلول عليه.

فالآيات التي أعلم الله بها رسالة رسله وصدقهم، لا بد أن تكون مختصة بهم، مستلزماً لصدقهم فإن الإعلام والإخبار بأن هذا رسول، وتصديقه في قوله: إن الله أرسلني، لا يتصور أن يوجد لغير رسول^(٦).

(١) انظر: المفهم القرطبي (٥٩٩/٥).

(٢) انظر: لسان العرب، ابن منظور (٣٦٩/٥-٣٧٠). وانظر أيضاً: الصحاح، الجوهري (٨٨٢/٢-٨٨٤).

(٣) تاج العروس، الزبيدي (٢١١/١٥).

(٤) فتح الباري (٥٨٢/٦).

(٥) انظر: التعريفات، الجرجاني، ص ٢١٩. وانظر أيضاً: الإتيان، السيوطي (٣/٤١).

(٦) النبوات، ابن تيمية (٧٧٨/٢).

والآيات والبراهين الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كثيرة متنوعة، وهي أكثر وأعظم من آيات غيره من الأنبياء، ويسمى من يسميها من النظائر (معجزات)، وتسمى (دلائل النبوة) و(أعلام النبوة).

وهذه الألفاظ إذا سميت بها آيات الأنبياء، كانت أدل على المقصود من لفظ المعجزات؛ ولهذا لم يكن لفظ (المعجزات) موجوداً في الكتاب والسنة، وإنما فيه لفظ (الآية) و(البينة) و(البرهان)، كما قال تعالى في قصة موسى: ﴿فَدْنِكَ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكَ﴾ [القصص: ٣٢] في العصا واليد، وقال الله تعالى في حق محمد صلى الله عليه وسلم ^(١) ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤].

وأما المعجزة عند المتكلمين: هي من يعجز الغير كما أن المقدر هو من يقدر الغير هذا في اللغة.

أما اصطلاحاً: فهي الفعل الذي يدل على صدق المعجز للنبوة، وشبهه بأصل اللغة، هو أن البشر يعجزون عن الإتيان بما هذا سبيله فصار كأنه أعجزهم، وإذا ثبت هذا لا يدل على صدق المدعي للنبوة إلا بشروط: أن يكون من جهة الله تعالى أو في الحكم كأنه من جهته، وأن يكون واقعاً عقب دعوى المدعي، وأن يكون مطابقاً لدعواه، وناقضاً للعادة من بين ظهرائهم، ثم إنه لا بد من اعتبار أن يكون من جهة فاعل عدل حكيم أو في الحكم كأنه من جهته، فيقول الباقلاني ^(٢): "هي أفعال الله تعالى الخارقة للعادة المطابقة لدعوى الأنبياء وتحديدهم الأمم بالإتيان بمثل ذلك" ^(٣). ويقول الجويني ^(٤): "إنما يثبت صدق مدعي النبوة بالمعجزات وهي أفعال الله تعالى الخارقة للعادة المستمرة، وظاهرها على حسب دعوى النبوة: هو تحديه ويعجز عن الإتيان بأمثاله" ^(٥).

(١) الجواب الصحيح، ابن تيمية ٤١٢/٥١.

(٢) الباقلاني: ٩٥١م-٣٢٨هـ: محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، أبو بكر، قاض، من كبار علماء الكلام. انتهت إليه الرئاسة في مذهب الأشاعرة، من كتبه: اعجاز القرآن، ومناقب الأئمة، والاستبصار، وتمهيد الدلائل، وغيرها. انظر: الأعلام، الزركلي ١٧٦/٦١.

(٣) الإنصاف، الباقلاني، ص ٥٨.

(٤) الجويني: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بأمام الحرمين ٤١٩ - ٤٧٨ هـ، أعلم المتأخرين، من أصحاب الشافعي، له مصنوعات كثيرة، منها: غياث الأمم والغيث الظلم والعقيدة النظامية في الأركان الإسلامية، والشامل في أصول الدين، على مذهب الأشاعرة، والإرشاد في أصول الدين، انظر: الأعلام، الزركلي ١٦٠/٤١.

(٥) الإرشاد، الجويني، ص ٢٤٥.

يقول التفتازاني^(١): "المعجزة هي أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة يظهره الله على يد الرسل تصديقاً لدعواهم في الرسالة، ولهذا فإن من شروط المعجزة عند المتكلمين أن تكون خارقة للعادة مقرونة بالتحدي وعدم المعارضة"^(٢).

وبناءً على ما سبق من نصوص فإن المعجزة في اصطلاح المتكلمين: أمرٌ خارق للعادة، مقرونٌ بالتحدي يظهر على يد نبي سالم من المعارضة. **المعجزة عند الفلاسفة**

قال ابن رشد^(٣): عن عدم إنكار الفلاسفة المنتسبة للإسلام للمعجزات، بل واتهام نفاتها بالزندقة وإيجاب قتله: "وأما الكلام في المعجزات؛ فليس فيه للقدماء من الفلاسفة قول؛ لأن هذه كانت عندهم من الأشياء التي لا يجب أن يتعرض للفحص عنها، وتجعل مسائل فإنها مبادئ الشرائع، والفاحص عنها والمشكك فيها يحتاج إلى عقوبة منهم، مثل من يفحص عن سائر مبادئ الشرائع العامة، مثل: هل الله موجود؟ وهل السعادة موجودة؟ وهل الفضائل موجودة؟"^(٤).

وقد أنكر هذه المعجزة جماعة من المبتدعة كجمهور الفلاسفة، متمسكين بأن الأجرام العلوية لملاستها لا يتهيأ فيها الانخراق والالتئام، وكذا قالوه في فتح أبواب السماء ليلة الإسراء إلى غير ذلك^(٥).

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على المبعوث بخاتمة النبوات وبعد: فقد خلص البحث إلى مجموعة من النتائج والتوصيات حيث تتلخص أهم النتائج التي تناولتها الدراسة فيما يلي

١- أن الشهادة للنبي ﷺ بالرسالة هي شطر ركن الإسلام الأول، ولا يصح إيمان العبد

(١) التفتازاني: ٧١٢ - ٧٩٢ هـ، سعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، سعد الدين: من أئمة العربية والبيان والمنطق، من مؤلفاته: تهذيب المنطق، وإرشاد الهادي وشرح العقائد النسفية، وغيرها. انظر: الأعلام، الزركلي ٢١٩/٧.

(٢) شرح المقاصد، التفتازاني (١١/٥).

(٣) ابن رشد: ١١٣٦م-٥٢هـ: محمد بن أحمد بن محمد بن رشد الأندلسي، أبو الوليد: الفيلسوف، عني بكلام أرسطو وترجمه إلى العربية، و زاد عليه زيادات كثيرة، كان دمث الأخلاق، حسن الرأي، واتهمه خصومه بالزندقة والإلحاد، صنف نحو خمسين كتاباً منها: فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، وتهافت التهافت، وفلسفة ابن رشد، انظر: الأعلام، الزركلي (٣١٨/٥).

(٤) تهافت التهافت، ابن رشد (٧٩٢/٢).

(٥) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية، الزرقاني (٤٨٠/٦).

- أو يتحقق أصل التوحيد إلا بالإقرار بها طاعةً وتصديقاً وانقياداً.
- ٢- وصف العبودية والرسالة في حق النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث يدل على كمال مقامه، دون إفراط أو تفريط.
- ٣- حجة الله قامت على العباد بإنزال الكتب وإرسال الرسل.
- ٤- لا يتحقق إيمان العبد إلا بالإيمان بجميع الأنبياء.
- ٥- التفاضل بين الأنبياء فأفضلهم الرسل، وأفضل الرسل اولو العزم، وأفضل أولي العزم محمد صلى الله عليه وسلم، وينبغي أن يكون التفضيل وفق الضوابط الشرعية، وإلا كان مخالفاً لمقصود النبي صلى الله عليه وسلم.
- ٦- دلائل النبوة من أعظم ما يُستدل به على صدق الأنبياء.
- ٧- تعدد طرق إثبات النبوة وعدم حصرها بالمعجزات.
- ٨- تنوع دلائل النبوة، حيث اشتملت على المبشرات والارهاصات، والإخبار بالمغيبات وجوامع كلمه صلى الله عليه وسلم، وختم النبوة به، مما يدل على صدق نبوته وثبوت رسالته صلى الله عليه وسلم.
- ٩- النبوة مختومة بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها فهو خاتم النبيين والمرسلين، فلا نبي بعده ولا شريعة مستأنفة، ونزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان لا يعارض ذلك لأنه سيحكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم.
- ١٠- اختصاص النبوة المحمدية بسمات عظيمة، وأهمها: عموم الرسالة للتقلين، وكونها خاتمة الرسالات وناسخة لما قبلها، وقد أكمل الله بها الدين.

والتوصيات:

- ١- العناية بدراسة السنة النبوية؛ لاشتمالها على كثير من المسائل العقدية فهي المصدر الثاني للتشريع.
- ٢- الرد على الشبهات المثارة حول الوحي والنبوة خصوصاً ما يسمى بجماعة القرآنيون.

المراجع

- القرآن الكريم.
- الإتيان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، [الطبعة: بدون]، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م.
- الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين، تحقيق: محمد يوسف موسى، علي عبد المنعم عبد الحميد، [طبعة: بدون] مكتبة الخانجي - مصر، ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م.

- أسد الغابة في معرفة الصحابة: عز الدين ابن الأثير، أبو الحسن، علي بن محمد الجزري، تحقيق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود الطبعة: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، [الطبعة: بدون]، بيروت: دار الفكر، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
- إعلام الموقعين عن رب العالمين: ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، الطبعة: الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.
- الأعلام: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، الطبعة: الخامسة عشر، دار العلم للملايين، أيار / مايو ٢٠٠٢ م.
- إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، [طبعة: بدون]، الرياض: مكتبة المعارف، [تاريخ: بدون].
- الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به: الإمام القاضي أبي بكر بن الطيب الباقلائي، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، الطبعة: الثانية، المكتبة الأزهرية للتراث ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
- البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، تحقيق: علي شيري، الطبعة: الأولى، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨ - ١٩٨٨ م.
- بدائع الفوائد: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، [طبعة: بدون]، بيروت: دار الكتاب العربي، [تاريخ: بدون].
- البناية شرح الهداية: محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن الحسين المعروف بـ «بدر الدين العيني» الحنفي، تحقيق: أيمن صالح شعبان، الطبعة: الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، الطبعة: الثانية، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.
- تراجم المؤلفين التونسيين: محمد محفوظ، الطبعة: الثانية، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، ١٩٩٤ م.
- تفسير القرآن العظيم: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، وضع حواشيه وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين، الطبعة: الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- تهافت التهافت، ابن رشد، تحقيق: دنيا سليمان، الطبعة: الرابعة، دار المعارف - القاهرة، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م.
- تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، تحقيق: محمد عوض مرعب، الطبعة: الأولى، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١ م.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويح، الطبعة: الأولى، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- ثلاثة الأصول وأدلتها - وشروط الصلاة - والقواعد الأربع: محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي، الطبعة: الأولى، السعودية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد،

..١٤٢١هـ

- جامع الأصول في أحاديث الرسول: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط؛ بشير عيون، الطبعة: الأولى، مكتبة الحلواني؛ مطبعة الملاح؛ مكتبة دار البيان، ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن: أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري، [الطبعة: بدون]، مكة المكرمة: دار التريبة والتراث، [تاريخ: بدون].
- الجامع الصحيح «صحيح مسلم»: أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد ذهني أفندي؛ إسماعيل بن عبد الحميد الحافظ الطرابلسي؛ أحمد رفعت بن عثمان حلمي القره حصارى؛ محمد عزت بن عثمان، أبو نعمة الله محمد شكري بن حسن الأنقروبي، [طبعة: بدون]، تركيا: دار الطباعة العامرة، ١٣٣٤ هـ.
- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم: زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي الشهير بابن رجب، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، إبراهيم باجس، الطبعة: السابعة، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
- الجامع الكبير (سنن الترمذي): أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، الطبعة: الأولى، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٦ م.
- جامع المسائل: شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام ابن تيمية، تحقيق: ج ١ - ٦، ٨ (محمد عزيز شمس)، ج ٧ (علي بن محمد العمران)، ج ٩ (عبد الرحمن بن حسن قائد) الطبعة: الأولى، لدار ابن حزم (بيروت)، الطبعة: الثانية (للمجموعات من ١ - ٩)، دار عطاءات العلم (الرياض) - دار ابن حزم (بيروت) ١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م.
- الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني؛ إبراهيم أطفيش، الطبعة: الثانية، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.
- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: ابن تيمية، تحقيق: علي بن حسن؛ عبد العزيز بن إبراهيم؛ حمدان بن محمد، الطبعة: الثانية، السعودية: دار العاصمة، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.
- الحكمة من إرسال الرسل: عبد الرزاق عفيفي عبد البر شرف الدين النوبي، الطبعة: الثانية، دار الصيمعي للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ١٤٢٠ هـ.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، [طبعة: بدون]، مطبعة السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م.
- الخصائص الكبرى: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، [طبعة: بدون]، دار الكتب العلمية - بيروت، [تاريخ: بدون].
- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، توثيق وتخریج: د عبد المعطي قلجعي، الطبعة: الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
- دلائل النبوة: أبو نعيم الأصبهاني، تحقيق: الدكتور محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس، الطبعة: الثانية، دار النفائس، بيروت، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
- الرحيق المختوم: صفی الرحمن المبارکفوري، (طبعة خاصة بدار ومكتبة الهلال)، دار الفكر - بيروت ٢٠٠٢ م.
- الرسالة التبوكية = زاد المهاجر إلى ربه: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم

- الجوزية، تحقيق: د. محمد جميل غازي [طبعة: بدون]، مكتبة المدني - جدة [تاريخ: بدون].
- روضة الأنوار في سيرة النبي المختار: صفي الدين المباركفوري، [طبعة: بدون]، دار السلام - الرياض، ١٤١٤هـ.
- زاد المعاد في هدي خير العباد: ابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط؛ عبد القادر الأرنؤوط، الطبعة: الأولى، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- الزهر النضر في حال الخضر: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: صلاح مقبول أحمد الطبعة: الأولى، مجمع البحوث الإسلامية - جوغابائي نيودلهي - الهند، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- سير أعلام النبلاء: شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان سير هشام، تحقيق: حسين أسد (ج ١، ٦)، شعيب الأرنؤوط (ج ٢، ٥، ١٩، ٢٠)، محمد نعيم العرقسوسي (ج ٣، ٨، ١٠، ١٧، ١٨، ٢٠)، مأمون الصاعرجي (ج ٤)، علي أبو زيد (ج ٧، ١٣)، كامل الخراط (ج ٩)، صالح السمر (ج ١١، ١٢)، أكرم البوشي (ج ١٤، ١٦)، إبراهيم الزبيق (ج ١٥)، بشار معروف (ج ٢١، ٢٢، ٢٣)، محيي هلال السرحان (ج ٢١، ٢٢، ٢٣)، الطبعة: الثالثة، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة: محمد بن محمد شُهَيْبَة، الطبعة: دار القلم (دمشق، بيروت) ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- السيرة النبوية لابن هشام: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين، تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي الطبعة: الثانية، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م.
- السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي: أبو الحسن علي الحسيني الندوي، تحقيق: سيد عبد الماجد الغوري، الطبعة: الثانية عشرة، دار ابن كثير، (دمشق - بيروت)، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية للقسطلاني: محمد بن عبد الباقي الزرقاني تحقيق: محمد عبد العزيز الخالدي الطبعة: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- شرح العقيدة الأصفهانية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلِيم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: محمد بن رياض الأحمد، الطبعة: الأولى، بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٥هـ.
- شرح العقيدة الطحاوية: علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي، تحقيق وتعليق وتخريج: د. عبد الله بن المحسن التركي؛ شعيب الأرنؤوط، الطبعة: الثانية، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
- شرح المقاصد: للإمام مسعود بن عمر بن عبد الله الشهير بسعد الدين التفتازاني، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، الطبعة: الثانية، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- الشريعة: أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الأجزبي البغدادي، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، الطبعة: الثانية، دار الوطن - الرياض، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

- شعب الإيمان: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: د عبد العلي عبد الحميد حامد، الطبعة: الأولى، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى - مذيلا بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء: أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي، الحاشية: أحمد بن محمد بن محمد الشمني، [الطبعة: بدون]، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة: الرابعة، بيروت: دار العلم للملايين، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- صحيح البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، الطبعة: الخامسة، دمشق: دار ابن كثير؛ دار اليمامة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، وتحقيق: جماعة من العلماء، الطبعة: السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، ١٣١١هـ، بأمر السلطان عبد الحميد الثاني، صوّرها: د. محمد زهير الناصر، الطبعة: الأولى بيروت: دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.
- صحيح الجامع الصغير وزياداته: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأثقودري الألباني، [طبعة: بدون]، المكتب الإسلامي [تاريخ: بدون].
- الصلفية: ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، الطبعة: الثانية، مصر: مكتبة ابن تيمية، ١٤٠٦هـ.
- طبقات الحفاظ: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، الطبعة: الأولى دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠٣هـ..
- الطبقات الكبرى: محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري المعروف بابن سعد تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الطبعة: الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- طريق الهجرتين وباب السعادتين: الإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي، الطبعة: الأولى، دار ابن حزم، الطبعة: الرابعة، دار عطاءات العلم، الرياض، ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري: بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد العيني، تصحيح وتعليق: شركة من العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، [طبعة: بدون]، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ودار الفكر، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه: لصاحبها ومديرها محمد منير عبده أغا الدمشقي، [تاريخ: بدون].
- فتح الباري بشرح البخاري: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، إخراج وتصحيح تجاربه: محب الدين الخطيب، الطبعة: «السلفية الأولى»، مصر: المكتبة السلفية، ١٣٨٠ - ١٣٩٠هـ.
- الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، تحقيق: أبو مصعب «محمد صبحي» بن حسن حلاق [طبعة: بدون]، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء - اليمن [تاريخ: بدون].
- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان: تقى الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد

- السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي دمشقي، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، [طبعة: بدون] مكتبة دار البيان، دمشق ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
- كتاب التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، الطبعة: الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م
 - الكتاب المقدس: ترجمة فان دايك، [طبعة: بدون]، دار الكتاب المقدس، مصر ١٩٩٩ م.
 - لسان العرب: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، الطبعة: الثالثة، بيروت: دار صادر، ١٤١٤ هـ.
 - لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرّة المضية في عقد الفرقة المرضية: شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، الطبعة: الثانية، دمشق: مؤسسة الخافقين ومكبتها، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.
 - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، تحقيق: حسام الدين القدسي [طبعة: بدون]، مكتبة القدسي، القاهرة ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م.
 - مجموع الفتاوى: شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم رحمه الله وساعده: ابنه محمد، [طبعة: بدون]، المدينة المنورة - السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
 - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الطبعة: الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢ هـ.
 - المُحلّي بالآثار: أبو محمد، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري، [طبعة: بدون]، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
 - مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الطبعة: الثالثة، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.
 - مذكرة التوحيد: عبد الرزاق عفيفي عطية عبد البر شرف الدين النوبي، الطبعة: الأولى، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ١٤٢٠ هـ.
 - المستدرک علی الصحیحین: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة: الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١١ - ١٩٩٠ م.
 - مسند الإمام أحمد بن حنبل: الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - عادل مرشد - وآخرون، [طبعة: بدون]، مؤسسة الرسالة [تاريخ: بدون].
 - معالم التنزيل في تفسير القرآن: محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود البيهقي، تحقيق: محمد عبد الله النمر؛ عثمان جمعة ضميرية؛ سليمان مسلم الحرش، الطبعة: الرابعة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
 - معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، أبو الحسين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الطبعة: الثانية، بيروت: دار الفكر؛ دار الجيل، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
 - مفاتيح الغيب = التفسير الكبير: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، الطبعة: الثالثة، دار إحياء التراث العربي - بيروت -

١٤٢٠ هـ.

- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي، حققه وعلق عليه وقدم له: محيي الدين ديب ميستو؛ أحمد محمد السيد؛ يوسف علي بديوي؛ محمود إبراهيم بزال، الطبعة: الأولى، دمشق؛ بيروت: دار ابن كثير؛ دمشق؛ بيروت: دار الكلم الطيب، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.
- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: محمد رشاد سالم، الطبعة: الأولى، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، الطبعة: الثانية، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢.
- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد أحمد الحاج، الطبعة: الأولى، دار القلم - دار الشامية، جدة - السعودية، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.